كتاب الطريقين إلى عالم آخرة «أوزير»

(١) مقدمة

كان من نتائج الثورة الاجتماعية التي قام بها عامة الشعب من جراء الظلم الذي حاق بهم من طبقات الأشراف في البلاد؛ أن انقلبت الأوضاع الاجتماعية المألوفة رأسًا على عقب، فأصبح السيد مسودًا، وصار الفقير غنيًّا، فسادت الفوضى مدة من الزمان مما دعا إلى قيام جماعة من حملة الأقلام المصلحين يطالبون بالعدالة الاجتماعية ويندِّدون بالملك الذي كان منزويًا في عقر داره يلهو ويلعب، ولا علم له بشيء مما آلت إليه البلاد من سوء الحال وفساد النظام، وقد ظل هؤلاء الكُتاب يعالجون الموقف بحكمتهم ويصورونه بصور شتى محسة إلى أن قُيض لهم النجاح في مهمتهم الشاقة، وظهر المصلح العظيم المنتظَر في شخص الفرعون «أمنمحات الأول» كما أسلفنا؛ فأعاد للبلاد بعض مجدها القديم وبث فيها روح العدالة، وأخذ يفسح المجال للحرية الشخصية من الناحية الاجتماعية والقضائية، غير أن هذه الحركة الفكرية العظيمة التي أوجدها أولئك الكُتاب لم تقف عند هذا الحد من الإصلاح الاجتماعي بل اتسعت دائرتها وتشعبت نواحيها، فكان مما تناولته الناحية الدينية، ولا سيما ما يختص منها بحقوق الإنسان في عالم الآخرة والجنة السماوية التي كانت حتى هذا العهد وقفًا على الفراعنة وأسرهم؛ من أجل ذلك أخذ القوم يفكرون في أمر آخرتهم وما فيها من نعيم وبدءوا يطالبون بمساواتهم أمام الإله دون فرق بين فقير وغني.

وعلى أثر ذلك نجد بعض الأفكار الدينية الشعبية الجديدة أخذت تظهر في المتون الدينية الخاصة بهذا العهد؛ أي العهد الإقطاعي الأول، بعد أن تحرَّر القوم من سطوة العقائد الدينية الملكية التي كانت قد طغت على ديانتهم جملة وجعلتها كأن لم تكن.

وأول ما ظهرت هذه العقائد الشعبية في «متون التوابيت» التي كانت تتعارض في كثير من الأمور مع متون العقيدة الشمسية الأصلية، وهي التي كانت العماد الأول الذي تقوم عليه ديانة الملوك، والتي نراها منتشرة في «متون الأهرام»، كما فصلنا القول في ذلك، على أن مثل هذه المتون الدينية الجديدة لم تكن شائعة في بادئ الأمر بل كانت محلية، وإن أصبحت فيما بعد ذائعة منتشرة وكونت وحدة عظيمة في عهد الدولة الحديثة؛ إذ ظهرت في صورة كتب يتداولها أفراد الشعب على السواء، ونخص بالذكر منها كتاب «أمي دوات»؛ أي (ما يوجد في العالم السفلي) ثم «كتاب البوابات»، وهي الأبواب التي كان لزامًا على المُتوفَّى أن يمر بها في طريقه إلى عالم الآخرة الذي هو جنة المأوى، وأخيرًا «كتاب الموتى» الذي كان يحتوي على عدة فصول توضع بجوار المُتوفَّى في تابوته ليكون دليلًا له، وحافظًا من كل الأخطار التي تعترضه في سبيله إلى جنة الخلد.

وأول كتاب ظهر من هذا النوع في مقابر الشعب يرجع تاريخه إلى عهد الدولة الوسطى على التوابيت المصنوعة من الخشب، وهو الكتاب الذي اصطلح على تسميته حديثًا كتاب «الطريقين»[1] ومن غريب الصدف أن كل التوابيت التي دوِّن عليها فصول هذا الكتاب قد وجدت في بقعة واحدة بعينها، وأعني بذلك جبانة «البرشة» الواقعة في المقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه القبلي، وهي التي كان يطلق عليها قديمًا «مقاطعة الأرنب» وعاصمتها «الأشمونين»، الحالية. وتعد هذه المقاطعة كذلك المركز

[1] وهو يصف لنا العقبات والمصاعب التي كان لا بد أن يجدها المتوفى أثناء انتقاله من هذا العالم الدنيوي إلى العالم السفلي الذي يقطن فيه الإله «أوزير» إله الموتى، كما تصورتها أخيلة الشعب، وقد كان لزامًا على المتوفى أن يتخذ لسيره إلى هذا العالم السفلي إحدى طريقين، إما طريق الماء أو طريق اليابسة، وكان يفصل هذين الطريقين بحيرة من نار يسقط فيها المتوفى إذا حاد عن الطريق الذي اختاره لنفسه من الطريقين المذكورين. هذا ولم يكن مصرحًا للمتوفى أثناء سيره على الطريق الذي يسير عليه أن يلتفت يمينًا أو شمالًا؛ لأنه لو فعل ذلك كان مصيره الهلاك. وقد كان كل من هذين الطريقين يحتوي على عدة منحنيات ومبانٍ يسكنها حراس من الجن ومخلوقات بشعة مريعة تحرس أبواب تلك المباني والمنحنيات، ولا تسمح للمتوفى بالمرور إلا إذا كان مسلحًا بتعويذة سحرية تفسح له الطريق عند تلاوتها أمام أولئك الحراس الذين يعترضون طريقه إلى أن يصل إلى «روستاو» وهو المكان الذي يأوي إليه «أوزير»، وهنا يثوي الجسم، ثم يستمر روح المتوفَّى بعد ذلك في سياحته في العالم السفلي مع إله الشمس في سفينته إلى أن تعود ثانية إلى الشرق وتظهر معه، وهكذا يقوم روح المتوفى بهذه الرحلة مع إله الشمس في سفينته يوميًّا مجدِّدًا نفسه مثل الإله «رع» نفسه.

الرئيسي لعبادة الإله «تحوت» إله العلم والكتابة والحساب والمواقيت، الذي كان يمثله المصريون في صورة قرد طورًا، وفي صورة القمر تارة أخرى، وجبانة البرشة تقع قبالة بلدة «الأشمونين» على النيل، ولا نعجب إذن إذا وجدنا ميلًا ظاهرًا في متون هذا الكتاب لعبادة الإله «تحوت»، والواقع أن هذا الإله كان يقوم بأهم دور في هذه المتون، ولا غرابة في ذلك؛ إذ إنه يعتبر من أعظم الآلهة المصرية، فضلًا عن أنه يعد في بعض المذاهب الممثل للإله «رع» أعظم الآلهة المصرية في كل العصور التاريخية للبلاد.

وحقيقة الأمر أن قيمة «كتاب الطريقين» قد أصبحت عظيمة بالنسبة لنا؛ لأنه يعد بوجه خاص الحلقة التي تربط بين «متون الأهرام»، وهي الخاصة بالملوك وبين الكتب التي ظهرت في عهد الدولة الحديثة مثل «المرشد» الذي يُسمى (ما يوجد في عالم الآخرة السفلي) ومثل «كتاب البوابات» وهذان الكتابان كان يستعملهما الملوك والشعب على السواء كما سبق، على أن الباحث المحقق يجد أن الفكرتين اللتين احتواهما «كتاب الطريقين» لا يخرجان عن تلخيص لكل من المذهب الشمسي (ديانة الملوك) والمذهب الأوزيري (ديانة الشعب)، وهاتان الفكرتان قد وضحتا توضيحًا شافيًا في كتابي «ما يوجد في العالم السفلي» و«كتاب البوابات»: فالأول يفسر لنا العقيدة الشمسية، والثاني يوضح لنا المذهب الأوزيري. ولكن لا يفوتنا أن ننبه هنا على أن هذين الكتابين لم يشتق أصلهما من «كتاب الطريقين» بل أُخذ عن «كتاب الموتى» الذي ترجع أصوله إلى «متون التوابيت» «ومتون الأهرام» معًا. وكتاب «الطريقين» كان يعد في «متون التوابيت» فصلًا ضمن فصولها، والواقع أن «كتاب الطريقين» له اتصال «بكتاب البوابات»؛ لأنه يعد مرشدًا يستعينه المُتوفَّ بما يحتويه من إرشادات في صور تعاويذ سحرية على شق طريقه الوعرة المحفوفة بالمخاطر في عالم الآخرة ليصل سالمًا إلى جنة الخلد (روستاو) التي كان يلقى فيها النعيم المقيم مثل الإله «أوزير». ويدل المنطق وما لدينا من معلومات حتى الآن على أن المتون المصرية منذ أقدم العهود أخذ بعضها من بعض؛ أي إن كلًّا منها قد استقى من سابقه؛ ولذلك لا نكون قد حدنا عن جادة الصواب إذا تصوَّرناها على الصورة التالية:

العهد العتيق: مصدره الرواية.

الدولة القديمة: مصدرها «متون الأهرام» التي يوجد فيها كثير مما يرجع إلى العهد العتيق.

الدولة الوسطى: مصدرها «كتاب الطريقين» و«متون التوابيت»؛ وقد أخذا كثيرًا عن «متون الأهرام».

الدولة الحديثة: مصدرها «كتاب الموتى» وهو مأخوذ من كتب العصر السالف وعنه أخذ كتاب «ما يوجد في العالم السفلي» و«كتاب البوابات».

العصر المتأخر: مصدره النصوص السالفة جميعًا.

ويمكننا القول إن «متون الأهرام» التي كانت لا تخرج في معظم الأحيان عن مجموعة من الفصول الدينية والتعاويذ السحرية غير المتصلة الحلقات؛ قد جمعت من المعتقدات العتيقة ما يوافق هوى الملك الحاكم وذوقه، وقد كانت المصدر الأصلي الذي أخذ عنه المؤلفون في الأدب الجنازي فيما بعد، وبخاصة «متون التوابيت» و«كتاب الموتى». ومثل هذه المؤلفات كان يستعين بها المُتوفَّى لضمان حياة في عالم الآخرة ملؤها السعادة والنعيم.

أما الصنف الثاني من المؤلفات التي ظهرت في نفس الوقت الذي ظهر فيه «كتاب الموتى» فكان الغرض منه أن يقص عليه قصة متصلة الحلقات كما يقصها علينا «كتاب الطريقين»، وأعني بذلك كتاب «ما يوجد في العالم السفلي» و«كتاب البوابات»، ولكن الغريب في هذين المؤلفين أننا لم نجد نسختين من أي كتاب منهما متحدتين في ألفاظهما تمامًا، وقد يعزى ذلك إلى اختلاف العقيدة، وإلى الآلهة المحليين الذين كانوا يلعبون دورًا عظيمًا في معتقدات القوم؛ من أجل ذلك كله لم تصلنا رواية متفق عليها يسير الكل على نهجها في طول البلاد وعرضها، ولكن نرى بوجه عام أن مجموع الشعب متمسكون بلب ما في هذه النسخ المختلفة، فكانوا يرسمون في النسخ التي توضع معهم في قبورهم؛ الشخصيات الهامة بين الآلهة والمناظر التي تدور حولها المتون، وإن كان الحوار فيها يختلف بعض الشيء، وهذا الاختلاف كما قلت راجع إلى المعتقدات المحلية.

وإذا كان القارئ أو الباحث المدقق سيجد بعض الإبهام في «كتاب الطريقين»، فإن جريرة ذلك لا تقع على جامع هذا الكتاب، بل يجب أن نعزو ذلك إلى جهلنا التام بديانة الشعب في هذا العهد بعينه، بل والعهد الذي سبقه، فقد ظهر هذا المؤلف في عصر كانت البلاد غارقة فيه في بحر من ظلمات الفوضى والارتباك الاجتماعي والسياسي، فكان فيه التدهور الخلقي والديني بطبيعة الحال على أشد ما يكون من العنف، وإذا وجدنا أن التشويش والتشويه والغموض تسود فصول هذا المؤلف فإن ذلك راجع إلى أننا بعيدون

كل البعد عن فهم الأفق العقلي والديني لمؤلفيه، فمن الجائز أن ما يظهر أمامنا مشوشًا غامضًا كان في نظر أهل هذا العهد منطقيًّا مفهومًا. وهذه الحقيقة يدركها تمامًا أولئك الذين يدرسون التاريخ القديم وتطوراته، ولا يبعد من جهة أخرى أن هذه الكتب كانت مبهمة كذلك على غير المتعلمين في هذا العصر، وهم الذين يقبلون في كل زمان ومكان ما يلقيه عليهم رجال الدين دون معارضة أو سعي لتفهمه، وبخاصة إذا كان يتفق وعقليتهم الساذجة.

(٢) مصادر كتاب الطريقين

وصل إلينا حتى الآن من الكشوف الأثرية عشر نسخ من كتاب الطريقين، تسعٌ منها محفوظة على رقع توابيت موجودة بالمتحف المصري.

(Lacau, “Sarcophages Anterieur au Nouvel Empire”, Vol. I, PP. 189–198, 209–222; Vol. 1I, PP. 29 ff. Pls. LVI, LVII, (Vol. I)).

ونسخة أخرى على رقعة تابوت بمتحف برلين (Berlin Museum, No. 14385).

وقد نشرت متون هذه التوابيت بطريقة مختصرة، وبخاصة متون توابيت متحف القاهرة، هذا فضلًا عن أنه لم يحاول أحد من العلماء ترجمتها أو درسها درسًا شافيًا. ومما يؤسف له أنه حتى التوابيت التي أبقتها يد التخريب لم نجد بينها إلا أربعة دوِّن عليها هذا الكتاب بحالة لا بأس بها: ثلاثة منها بمتحف القاهرة، وتحمل الأرقام التالية ٢٨٠٨٣، ٢٨٠٨٥، ٢٨٠٨٩ في السجل الرسمي، وهي التي سنعتمد عليها، أما النسخة الرابعة ففي متحف برلين وقد دوِّن التابوت الذي كتبت عليه تحت رقم ١٤٣٨٥ في سجل المتحف.

ومما يجب التنويه عنه هنا أن نسخة «برلين» قد امتازت بطابع خاص؛ إذ تحتوي على بعض متون لا نظير لها في نسخ متحف القاهرة كما سنرى بعد، على أنها وإن كانت من جهة أخرى ينقصها ثلثا المتون التي كُتبت على نسخ متحف القاهرة؛ هذا بالإضافة إلى أن جزءًا كبيرًا من المصوَّر الجغرافي الذي وجدناه على توابيت متحف القاهرة وبخاصة الصور الإيضاحية قد خلا منها مصور متحف «برلين».

(٣) ما نعرفه عن ديانة الشعب في عهد الدولة القديمة

وقبل أن نتناول محتويات هذا الكتاب بالبحث والدرس، يجب أن نفهم أولًا أنه لا يمتاز بوجود معتقدات جديدة مبتكرة، بل إنه هو في الواقع يضع أمامنا صورة تعبر عن ديانة الشعب ومعتقداته؛ وهي تلك الصورة التي حتمت الأحوال أن تبقى مغمورة منزوية بمعزل عن المتداول من المعتقدات الملكية الشمسية التي كان لها السيطرة التامة دون سواها؛ ولذلك لم تترك مجالًا ما لظهور معتقدات الشعب ومذاهبهم الدينية. وعلى الرغم من أننا نجد الآثار التي كُشف عنها حتى الآن قد صمتت صموتًا تامًّا عن ذكر أي شيء يتعلق بديانة عامة الشعب ومذاهبهم، فإننا كنا نسمع من حين لآخر أصداء تلك المعتقدات على نقوش الأبواب الوهمية واللوحات الجنازية في عهد الدولة القديمة. وقد ألف الأستاذ «جارنو» حديثًا كتابًا يلقي بعض الضوء على معتقدات الطبقة الوسطى وعظماء القوم من الوجهة الخلقية، وسلوك الفرد في الحياة الدنيا، وتأثيره عليه في حياته الآخرة، وما يتطلبه من قربان من زائري قبره؛ فقد جمع المؤلف في كتابه النداءات التي كان يناشد بها المُتوفَّ الأحياء الذين يمرون بقبره طالبًا إليهم تلاوتها، ومع ذلك فقد بدت مبهمة لا تبحث في صميم موضوع ديانة الشعب (Garnot, “L’Appel aux Vivants”).

والواقع الذي لا مراء فيه أن كل فرد كان له دين يسير على منهاجه، وأنه من أجل ذلك كان يقيم لنفسه مقبرة يعدها بكل ما في استطاعته من عتاد مادي، وكذلك نعرف أن القوم كانوا مدة حياتهم يتعبدون إلى آلهة مختلفة ويتضرعون إليها كلما أصابهم خَطب أو حلت بهم مصيبة، كما كانوا يستعطفونهم ليمدوهم بالقربان الملكي بعد مماتهم. على أنه في الوقت الذي نعرف فيه كل ذلك لم تصلنا من جهة أخرى أية معلومات عن جنة الشعب التي كانوا يتطلعون إليها ويبتغون النعيم فيها، وجل ما نعرفه أنهم كانوا ينتظرون يوم حساب أمام الإله العظيم إذا دعا الأمر إلى ذلك.

(٣-١) جنة الفرعون السماوية المحرَّمة على الشعب

أما فيما يتعلق بادِّعاء الملوك وأسرهم ورجال حاشياتهم بأن الجنة السماوية كانت وقفًا عليهم، وأنها كانت محرَّمة على عامة الشعب فلدينا من المتون من عهد الأهرام ما يبرهن على ذلك بكل جلاء. وقبل أن نبحث هذه المتون يجب أن نوضح هنا أن هذه الجنة السماوية كانت أولًا وقبل كل شيء للفرعون، أما أسرته وكبار موظفيه وحاشيته فكانوا

يتمتعون بها تبعًا له بوصفهم أسرته وخدَّامه، كما كانوا في الحياة الدنيا، ولولا ذلك ما نالوا هذا الامتياز الأخروي الذي حُرِمه عامة الشعب الذين كانوا يعدُّون كالأنعام بل هم أضل سبيلًا. ولا أدل على ذلك مما جاء في متون الأهرام (Pyr. 669) عندما خوطب الملك الراحل بالجملة التالية: «إن ماءك مأواه السماء، أما الآلاف فمأواهم الأرض.» ويقصد بكلمة «ماء» ما يخرج من بين الصلب والترائب؛ أي النطفة التي يخرج منها نسله وهم ذريته، وهؤلاء كان مصيرهم جنة السماء، أما الآلاف وهم أفراد الرعية الذين يحكمهم الفرعون فكان مصيرهم الأرض، وسنتكلم عن جنتهم الأرضية فيما بعد. وكذلك نقرأ نفس الفكرة السابقة في متن آخر من متون الأهرام (Pyr. 408) فاستمع إليها: «إن «وناس» (الملك) إله أسنُّ من أي مُسِن، تخدمه آلاف، ويقدِّم له القربان مئات.» والمقصود هنا بالآلاف والمئات هم عامة الشعب، ونقرأ كذلك في المتون نفسها (Pyr. 488) ما يأتي: «إن ماء الملك «تيتي» في السماء وشعب «تيتي» على الأرض فما أوجع تحسر القلب! (؟)» وفي موضع آخر من نفس المتون (pyr. 655 b) نقرأ خاصًّا بالملك: «إنك تدخل أبواب السماء التي حُرمت على المواطنين.» ونحن نعلم أن المقصود من المواطنين هنا الطبقة الوسطى من الشعب، وقد حُرم عليهم دخول أبواب السماء التي فيها الجنة. وهذه الفكرة بعينها نجدها موضحة بصورة أظهر في مكان آخر من نفس المتون (Pyr. 876) فاستمع إليها: «لقد فُتح لك مصراعا باب السماء، وانفرجت لك أبواب السماء، وهي التي تصد الناس بعيدًا عنها.» وفي مناسبة أخرى نقرأ: إنك تفتح للملك «مرنرع» المزلاج إلى باب السماء المحرمة على الناس.»

(٣-٢) جنة الشعب مركزها الأرض

ذكرنا فيما سلف نقلًا عن «متون الأهرام» أن الملك وذريته كانوا يعرجون إلى السماء فينعمون هناك بجنة الخلد، أما الألوف وهم عامة الشعب فكان مأواهم الأرض، والواقع أنه لدينا بعض الإشارات في المتون الجنازية توحي إلينا بأن جنة عامة الشعب كانت على الأرض، فقد كان يظن حتى نهاية الأسرة الخامسة تقريبًا أن مركز هذه الجنة هي حقل القربان الذي يظن أن موقعه كان في بلدة «هليوبوليس» (عين شمس) وهذه البقعة المباركة كانت تعتبر المركز الرئيسي لعبادة الإله «رع»، الذي كان يزعم القوم أنه أول من حكم الدنيا ناشرًا العدل والمساواة بين الجميع، ولكنه تخلى عن حكم العالم الدنيوي ورفع نفسه إلى عالم السموات، وكان من جراء ذلك أن رفع معه حقل قربانه إلى العالم

العلوي، وأصبح مأواه الأبدي السماء مثل والده «رع»، وهناك ينعم بعيشة راضية في حقول قربان والده. أما عامة الشعب فقد ترك لهم حقول القربان التي على الأرض في «هليوبوليس» ليتمتعوا بها، وقد جرت العادة أن تقام مقابر القوم في تلك الجهة كلما وجد إلى ذلك سبيل، ويمكن التدليل على وجود حقول قربان في السماء وأخرى على الأرض بما وصل إلينا من النقوش الجنازية التي تركها الملوك والقوم في مقابرهم، فقد جاء في «متون الأهرام» ما يثبت صراحة وجود حقول قربان للملوك في عالم السماء، أما عن وجود هذه الحقول على الأرض ليتمتع بها أفراد الطبقة الوسطى وعظماء القوم فلدينا صيغة جنازية نقرؤها كثيرًا، ولكنا نمر بها مر الكرام دون التدقيق فيما تحتويه من معنى عميق، وهذه الصيغة هي جزء من دعاء للمتوفى شائع الاستعمال يطلب فيه أن يقرب له قربان ملكي، وأن يعيش عمرًا طويلًا، وكذلك يدعى له بأن «يتمكن من السير على الطرق الطيبة التي سلكها المقربون من قبل.» وليس ثمة شك في أن هذه الصيغة تشير إلى حادث معين خاص بشعيرة بعينها كان يحتفل بها القوم، وكانت تؤدى عند دفن المتوفى. وتفصيل ذلك أن المُتوفَّ كان لزامًا عليه أن يزور قبل الدفن المعابد القديمة التي كانت مقامة من قديم الزمان في «بوتو» («ابطو» الحالية القريبة من «دسوق») و«سايس» «صا الحجر» «هليوبوليس» وغيرها، وهذه المعابد كانت أهم المراكز الرئيسية في طول البلاد وعرضها من أقدم العهود. وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الشعيرة كان يقوم الشعب بأدائها قبل ظهور ديانة «أوزير» وقبل أن تحتل «العرابة المدفونة» المكانة الأولى في عبادة هذا الإله، وقبل أن تطغى عبادته على الشعائر التي كانت تقام في المدن الدينية العظيمة السالفة الذكر.

وحقيقة الأمر أن الزيارة التي كان يقوم بأدائها جثمان المُتوفَّ قبل الدفن إلى هذه المدن المقدسة كانت تعمل في قناة من القنوات المتفرعة من النيل تكون مؤدية إلى الجبانة المقصودة في ذلك العهد، وكان القارب الذي يحمل المُتوفَّ يقف حتمًا عند كل المحاط المعهودة وهي «سايس» و«بوتو» وغيرهما، ثم ينتهي به المطاف إلى حقل القربان؛ أي في «هليوبوليس» (Metterlung Kairo, IX, P. 39) ويمكن استنباط رغبة المُتوفَّ «في السير على الطريق الطيبة» من شعيرة دينية نُقشت على إحدى جدران المقابر (L. D. II, P. 101 a) وهي:

... لأجل أن يتمكن المُتوفَّ من الوصول إلى الحقل الجميل الذي على الطريق الطيبة»، ولا نزاع في أن هذا الحقل الجميل لا يمكن أن يكون شيئًا آخر

خلاف حقل القربان، وهو الهدف النهائي للسياحة في القارب، هذا فضلًا عن أنه قد جاءت إشارات إلى هذه السياحة في العبارات التالية: «التجديف إلى حقول القربان الجميلة» (Junker, Giza, II, Fig. 22) وقد جاء في نقش على جدران مصطبة «أخت حتب» الموجودة الآن بمتحف اللوفر العبارة التالية: السياحة إلى حقول القربان الخاصة بالإله العظيم (Boreaux, "La Nautique Egyptienne", PI. I)، غير أن إياب القارب ثانية بجثمان المُتوفَّى إلى الجبانة كان لا يعني بداهة أن الطريق الجميلة قد انتهت، وبذلك انتهى ما كان يعمل للمتوفى، بل على العكس كان من حقه أن ينال إلى الأبد حقه في التمتع بما تنتجه حقول القربان الخاصة بالإله العظيم في «هليوبوليس»، وقد كان ذلك صحيحًا فيما يختص بالملك وسراة القوم على السواء، ففي ما يخص الملك لدينا متون صريحة في نقوش متون الأهرام تثبت ذلك، فاستمع مثلًا ما يقال عن الملك «بيبي»: «إنه صعد إلى السماء بين النجوم الثابتة، وإنه تآخى مع نجم الشعرى اليمانية ونجم الصباح يرشده، وكلتاهما تأخذان بذراعه إلى حقل القربان» (راجع: Sethe Pyr. 1123). وكذلك يقال للملك: إنك تخترق السماء وتتخذ مسكنك في حقل القربان بين الآلهة (الملوك الذين توفوا) الذين ذهبوا إلى أرواحهم.

أما تمتع رجال الدولة بحقل القربان على الأرض فنستخلص هذه الفكرة من المسلة التي نراها في كثير من الأحيان منصوبة أمام قبور العظماء في عهد الدولة القديمة، وهذه المسلة تنتسب إلى «هليوبوليس» التي تعتبر المأوى الأصلي لإله الشمس «رع» عندما كان يحكم في عالم الدنيا. ففي «متون التوابيت» نقرأ مثلًا ما يأتي: «إني أحتفل بعيد الربع الأول من الشهر في «عين شمس» (Lacau, "Rec. Trav", XXXI, P. 32)» وكذلك نقرأ في نفس المتون (Ibid, XXIV, 181): ليت الطعام يقدَّم لك مثل «رع» على يد هؤلاء الذين في أماكنهم في «عين شمس»، ومما سبق نعلم أن حقول القربان كان مركزها بادئ الأمر في «عين شمس»، وكان كبار رجال الدولة يتمتعون بها على السواء، ولكن عندما رفع «رع» نفسه إلى السماء رفعت حقول قربانه كذلك إلى السماء بداهة، في حين أن حقول قربان الشعب بقيت على الأرض في «هليوبوليس» مكانها الأصلي؛ وهذا هو السبب الذي من أجله يقوم الفرد العادي برحلة إلى هذا المكان المقدس، وكذلك كان هذا هو السبب الذي من أجله كانت تقام المسلة التي تعد رمزًا لإله الشمس أمام مقبرة المُتوفَّى لتكون

عنوانًا مصغرًا لبلدة «هليوبوليس». ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الجزء الذي يُرمز به إلى الهرم في المسلة هو الجزء الهرمي منها كما شرحنا ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب. ومن جهة أخرى تنبئنا «متون الأهرام» أن حقول القربان التي في السماء قد أصبحت وقفًا على الملك المتوفى؛ لأنه كان يعتبر ابن «رع»، ولكننا وجدنا أن هذا الامتياز الخاص بالملك أخذ يشاركه فيه في نهاية الدولة القديمة الأسرة المالكة ورجال البلاط بوصفهم أهله وحاشيته، ثم لم يمضِ طويل وقت حتى نهض عامة الشعب عن بكرة أبيهم وقاموا بثورة اجتماعية دينية، وطالبوا بالتمتع بالآخرة السماوية، فأصبحت حقًّا مشاعًا لكل الشعب على السواء كما أسلفنا. وبعبارة أخرى أخذت المبادئ الديمقراطية الدينية تنتشر بين الأهلين وبخاصة حرية التمتع بالجنة السماوية، غير أن هذا الانقلاب الديني على ما يظهر لم يأتِ فجأة، بل أتى تدريجًا. إذ نلاحظ في بعض نقوش كبار الموظفين في عهد الأسرة السادسة أن المُتوفَّى الشريف كان يُسمح له أن يقوم بالسياحة السماوية التي كان يقوم بها الفرعون في سفينة الشمس مع الإله «رع»، ومن ثم يفهم أنهم لم يحرموا حق التمتع بالجنة السماوية، والواقع أن هذا التمتع الذي أصابوه كان تمتعًا محدودًا؛ وذلك لأنهم كانوا يذهبون فعلًا إلى جنة السماء، ولكن بوصفهم أتباعًا للفرعون يقومون له بمثل الخدمات التي كانوا يؤدونها له في عالم الدنيا، راجع: Teti-ankh. Tomb No. 15 Davies, “Shaikh Said”, 33) (Petrie, “Deshasheh”, P. 46, Pl. XXVIII etc.).

فهؤلاء كانوا بهذا الوضع لا يزالون في منزلة الخدم للفرعون؛ ولهذا صحبهم الفرعون معه. أما باقي طبقات الشعب فلا نعلم شيئًا عنهم قط، والظاهر أنهم كانوا محرومين التمتع بالجنة العلوية في خلال الدولة القديمة.

(٣-٣) وصف جنة الفرعون

وقد ساعد الحظ بوجود بعض تلميحات في «متون الأهرام» تساعد على معرفة صورة عن متاع جنة الملوك السماوية تلك الجنة التي كانوا يغارون عليها، وحرَّموها على أفراد شعبهم في عهد الدولة القديمة، وهي التي حارب الشعب للحصول عليها إلى أن ظفر بها من بين براثن أولئك الملوك فاستمع لما يقال للملك: (Sethe, Pyr. 815)، «هل تريد أن تحيا؟ يا «حور» يا من يسيطر على حربة الصدق؟ (وهي الحربة التي لا تدع أي شخص يمر بباب الجنة غير الصادقين المبرئين أمام الله) إذا كان الأمر كذلك فينبغي عليك ألا

تغلق مصراعي باب السماء، ويجب عليك ألا تحمي عقبه (أي عقب الباب)، وخذ روح «بيبي» إلى هذه السماء بين المنعمين حول الإله، والذين يحميهم الإله، وهم الذين يتكئون على صولجاناتهم وهم الذين يحرسون صعيد مصر، والذين قد ارتدوا أحسن الملابس الكتانية الأرجوانية، والذين يأكلون التين ويشربون الخمر ويتضمخون بأحسن العطور، وعند ذلك سيتكلم الروح عن «بيبي» أمام الإله العظيم، ويسمح «لبيبي» أن يصعد إلى الإله العظيم.»

وفي هذه الأسطر القليلة قد صور لنا باب الجنة الذي يقف أمامه الإله «حور» مسلحًا بحربة سحرية في يده استعدادًا لمنع أي فرد الدخول فيها غير المبرئين، والظاهر أن هذه أقدم إشارة عن وجود حارس[٢] لباب الجنة الذي نجده مذكورًا في كتب الديانات السماوية (راجع: Genesis 24)، غير أن «حور» قد حذر بطريقة خفية ألا يمنع روح «بيبي» ولوج باب الجنة، ولا شك في أن هذا الخطاب الموجه إلى «حور» هو طراز من الخطابات العادية التي نجدها كثيرًا في الصيغ السحرية التي كانت عديدة شائعة في «متون الأهرام»، فهي تختلف بطبيعة الحال عن الصلوات الدينية التي يتضرع بها الفرد لربه، والواقع أن الجنة التي وصفتها لنا «متون الأهرام» هي صورة من حياة الفرعون الدنيوية نُقلت إلى عالم السماء لتمثل لنا حياة «رع» في السماء، وهي الحياة التي كان يعيشها على الأرض قبل أن يرفع نفسه إلى السماء. فنجد فيها الإله الأعظم محاطًا برجال بلاطه الذين يحملون ألقابًا مثل الألقاب التي كانوا يحملونها في الحياة الدنيا، ويعيشون في نعيم فيلبسون الأرجواني «ولباسهم فيها حرير» وطعامهم فيها التين وشرابهم الخمر وشذاهم العطور.ولا نزاع في أن هذه الصورة لها نظائرها في الكتب المنزلة (القرآن).

أما روح الملك الذي كان قد سبقه فكان يمهد له السبيل للمثول أمام والده الإله العظيم «رع»، فإذا ما فرغ من الشعائر الجنازية الخاصة بدفن الملك أمكنه أن يصعد مباشرة إلى السماء ويعيش في جنة عالية. هذا ونجد في «متون الأهرام» فصلًا يبين حياته في عالم النعيم السماوي فاستمع إلى ما جاء فيه:

> إن «بيبي» هو أحد أولاد «جب» (إله الأرض) الأربعة الذين يجولون جنوبًا وشمالًا ويقفون متكئين على صولجاناتهم، وعطورهم ممتازة، ولباسهم

[٢] جاء في القرآن الكريم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ (سورة الجن).

الأرجواني، وطعامهم التين، وشرابهم الخمر، و«بيبي» هذا يعطر مما يعطرون به، و«بيبي» هذا يرتدي مما يرتدونه و«بيبي» هذا يأكل مما يأكلونه ويشرب مما يشربونه، و«بيبي» هذا على وئام معكم فهو يعيش مما تعيشون منه، فعليكم أن تقدموا له وجبته مما يعطيه إياكم والدكم «جب» (إله الأرض)؛ وبذلك لن يجوع واحد منكم ولن يُبلى، وعليكم أن تقبضوا بشدة على يد «بيبي» هذا للحياة أمام الشذي العَطِر. إن عظام «بيبي» هذا تجمع، وأعضاؤه قد ركبت ليجلس على عرشه (أي بعد أن فككها الموت).

ومما سبق يمكننا أن نستخلص أن الجنة السماوية كما صورها ملوك مصر في عهد الدولة القديمة كانت جنة لذة ومتاع، وفي الواقع إن هي إلا صورة لحياة الفراعنة على الأرض، ولكن دعنا الآن نفهم ماذا حدث لهذه الجنة التي وُعد بها الملوك في عالم السماء في «كتاب الطريقين» الذي ظهر في العهد الإقطاعي الأول عندما بدأنا نعرف شيئًا عن عقيدة الشعب في أمر آخرته، والجنة التي كانت تصبو إليها نفسه.

(٣-٤) الفرق بين روح الملك وروح الفرد العادي

ولأجل أن نقف على فكرة صحيحة عما كان ينتظره الفرد من عامة الشعب من الحياة الآخرة يجب علينا أن نوجه عناية خاصة إلى المتون المتعلقة بآخرة الإله «أوزير» ومثواه المسمى «روستاو». فمن الحقائق الغريبة في بابها، والتي يجب معرفتها عن معتقدات الشعب في عهد الدولة القديمة أنه لم يرد في المتون الجنازية عامة إشارة إلى روح الفرد العادي «با» وقرينته «كا» مدَّة حياته، كما أنه لا توجد صورة لأيهما في النقوش والرسوم حتى بعد الموت، وهذا خلافًا لما نعرفه عن الملوك؛ إذ نجد أن روح الفرعون «با» أو قرينته «كا» مرسومة على الآثار في حياته وبعد مماته. وقد كان الاعتقاد عندهم أن روح الفرد تعيش بجانبه مدة حياته، غير أنها لا تُرى، وقد كان الملك مثله في ذلك مثل الإله له عدة «قرينات» (كاو) وعدة أرواح (باو) فقد كان له ٧ أو١٤ قرينة (Kees, Totenglauben, P. 10).

وكذلك نعلم من «متون الأهرام» أن روح الفرعون كان يسبقه إلى عالم السماء، ولكن في عالم الدولة الوسطى أو بعبارة أدق منذ العهد الإقطاعي الأول نجد أنه عندما

وحد الفرد العادي مع الإله «أوزير» أصبح على قدم المساواة مع الملك في كل متاع الآخرة، ومن ثم نجد المتون تتكلم عن روحه مدة حياته، (Erman, "The Literature of Ancient Egyptians", P. 86).

ومن وقتئذ أصبحت الامتيازات التي كانت وقفًا على الملك وحده؛ مُلكًا مشاعًا لعامة الشعب، هذا فضلًا عن أنهم أخذوا يتمتعون بنسيم الحرية والعدالة الاجتماعية والدينية، فأخذوا يعبرون عن آرائهم ومعتقداتهم الدينية التي ظلت زمنًا طويلًا تضيق عليها كل المنافذ فكانت تغلي في صدورهم كالحمم الذي يتقد في جوف بركان تحت ستار المذهب الملكي، الذي كان قد طغى على كل ما سواه، ولكن عندما حدث الصدع العظيم بتداعي القوة الملكية عند نهاية الدولة القديمة، وجدنا المذهب الأوزيري الذي كان بلا شك مذهب عامة الشعب، أخذ ينمو وينتشر ويزداد قوة على قوة ونفوذًا على نفوذ، مما وسع هذا الصدع وسمح لأفكار الشعب الدينية ومعتقداتهم أن تندفع إلى الخارج وتأخذ في الظهور في صورة حمم ملتهب، على أن الشعب لم يكتفِ في أي مكان في البلاد بحرية التعبير عن معتقداته وصلواته الخاصة به، بل طالب بحق التمتع بالجنة السماوية التي وُعد بها الملوك، فأجيب مطلبه بعد حرب شعواء، قلبت خلالها كل الأنظمة الاجتماعية رأسًا على عقب.

ومن ثم نجد أن كثيرًا من «متون الأهرام» الخاصة بالملوك قد اندمجت في المتون الدينية الخاصة بعامة الشعب في هذا العصر، ولما استحوذ أفراد الشعب على حق التمتع بالآخرة السماوية، وهي التي كانوا يتطلعون إليها؛ أصبح منذ ذلك الحين باب السماء مفتوحًا أمامهم على مصراعيه ولم ينزلوا منذ ذلك الوقت عن هذا الحق المكتسب بالنضال، وبقي في أيديهم طوال العهود التالية من العصور التاريخية المصرية، ولكن يلاحظ أن خيال أفراد الشعب الذي كان محشوًّا بالخرافات قد شوَّه هذه الجنة التي اكتسبوها بنضالهم العنيف؛ لدرجة أنه يصعب علينا أحيانًا أن نتعرَّف عليها بوصفها الجنة السماوية التي كان يتمتع بها الملوك أمثال «وناس» و«بيبي» و«تبيي» وغيرهم، ويسيرون فيها مع أولاد «حور» مرتدين الأرجواني، ينبعث من أجسامهم شذى العطور، وأكلهم فيها التين، وشرابهم خمر الجنة ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (سورة محمد الآية ٤٧).

(٤) شرح كتاب الطريقين إلى عالم الآخرة

والآن نبدأ بشرح كتاب الطريقين كما جاء على مصوَّر التابوت رقم ٢٨٠٨٣ وهو المحفوظ الآن بالمتحف المصري؛ وذلك لأنه يحتوي على إيضاحات كثيرة مصوَّرة أكثر من أية نسخة وُجدت حتى الآن، رغم ما أصاب هذه النسخة من العطب في بعض أجزائها. وسنستعين في تكملة الأجزاء المهشمة بالنسخة التي على التابوت رقم ٢٨٠٨٥، وهذا التابوت لامرأة تدعى «سات حزحتب»، ومما يستحق الملاحظة هنا أن الصيغ التي استعملت في تابوت «سات حزحتب» وهي امرأة من الطبقة الوسطى نفس الصيغ التي استعملها «سبي» قائد الجيش صاحب التابوت الأول، وهذا يبرهن لنا على أن هذه الصيغ الطنانة الرنانة الألفاظ وما جاء فيها من تهديد ووعد ووعيد — وهي الألفاظ التي كان مفروضًا أن يتلوها المُتوفَّى — كانت تعاويذ سحرية محضة؛ هذا إلى جانب أنها تدل على المساواة الدينية المطلقة بين أفراد الشعب على مختلف طبقاتهم دون فرق بين قائد جيش وامرأة متوسطة الحال.

وقد وضع التصميم الرئيسي لهذا الكتاب بالرسم الملون على رقعة التابوت، سواء في ذلك التابوت الخارجي أو الداخلي، وذلك زيادة في المحافظة على بقاء هذا المصور مع المُتوفَّى في قبره، فإذا أصاب أحد التوابيت عطب بقي الآخر (انظر شكل ١).

وقبل البدء في وصف هذا المصور يجدر بنا معرفة أن تابوت «برلين» يختلف مصوَّره عن مصورات توابيت القاهرة؛ هذا فضلًا عن أنه خالٍ من كل صور إيضاحية.

(٤-١) وصف مصور تابوت «سبي» رقم ٢٨٠٨٣ مع موازنته بتابوت «برلين»

أول ما يلاحظ في مصور هذا التابوت أن كل التصميم قد أحيط بإطار ذي لون أزرق، وربما كان هذا اللون رمزًا للمحيط الأزلي الذي كان يعتقد المصري أنه يحيط بالعالم السفلي؛ (راجع: Shackenberg, "Zweiwegbuch" P. 6) كما يلحظ وجود شريط أزرق يخترق كل الرسم أفقيًّا مقسِّمًا إياه قسمين متساويين، ويشاهد في بداية المصور من الجهة اليمنى في القسم العلوي بناء مستطيل الشكل ملونة جدرانه بالأحمر ليمثل النار، وفي الركن الشمالي العلوي لهذا المستطيل يوجد باب أحمر اللون كذلك يدور على عقب ملون باللون الأسود، وهذا الباب يؤدي إلى بناء مستطيل آخر ينقسم أفقيًّا من فوق

منتصفه بقليل، ويوجد في الجزء العلوي باب لونه أحمر يؤدي مباشرة إلى بداية طريقي «روستاو»، (و«روستاو» هو عالم الآخرة السفلي الخاص بالإله «أوزير»)، فالطريق العلوي هو عبارة عن مجرى ماء ملتوٍ، أما الطريق السفلي فملون بالأسود، وهو طريق البر.

والجزء السفلي من المستطيل العمودي الشكل السالف الذكر؛ هو حجرة يؤدي بابها إلى الطريقين، وقد قُسم ثانية قسمين؛ أحدهما أكبر من الآخر بقليل، فالجزء الأسفل لونه أحمر مما يشعر بأنه قد مُلئ بالنار، أما في الجزء العلوي فيشاهد حارس في صورة شيطان جاثم يحمي هذا المكان، وتركيبه غريب؛ إذ له رأس كبش أسود وجسم تمساح أحمر اللون، وهذا المخلوق المخيف يقبض بيده على سكين كبير مهدّدًا بها، ويوجد تحت هذا الشيطان صورة نصف دائرة عظيمة ذات لون أسود، ويرتكز جزؤها المسطح على الجدار الأيسر لجدار الحجرة الثانية، وليس في المتن تفسير لهذه الظاهرة، ولكن نجد في كتاب «ما يوجد في العالم السفلي»، الذي وضع بعد كتابنا بزمن، أن نصف الدائرة هذه قد وضع في مكان ظاهر في «روستاو» بعنوان: «الليل» أو «الظلمة». (Budge, "The Eyptian Heaven and Hell", Vol I, P. 103).

هذا؛ ويختلف مصوَّر تابوت «برلين» بعض الشيء عن مصوَّرات القاهرة، وقد ضربنا عنها صفحًا تفاديًا من الإطالة.

المتون الخاصة بهذا الجزء

هذا هو الوصف الإجمالي لبداية هذا المصوَّر لعالم الآخرة حسب العقيدة الشعبية الجديدة، وسنتناول الآن شرح متون هذا الجزء وصوره مفصلين القول عن الخطوات التي كان يجب على المُتوفَّ اتباعها في سياحته بإحدى هاتين الطريقين، وما يجب عليه أن يفعله ليتغلب على العقبات والصعاب التي كانت تعترضه في تلك السياحة الخطرة.

كان أول عمل يقوم به المُتوفَّ أن يتلو المتن الذي قد كُتب في المستطيل الملون باللون الأحمر وحوله، وهو الذي يمثل «بوابة» هذا القسم، وقد وصفناه فيما سلف.

وهذه المتون تعتبر بمثابة مقدِّمة، ومنها تألف فيما بعد في عهد الدولة الحديثة الفصول ١٣٣، ١٣٦، ١٣٦ب من «كتاب الموتى»، وهذه الفصول تشير إلى بزوغ الشمس بعد غيابها في عالم الآخرة السفلي أثناء الليل، ولا أدل على ذلك من أن عنوانها في كتاب

الموتى: «فصل في الإسراع بطلوع «رع» (الشمس) في أفقه ومعه تاسوعه الذين في ركابه، وشروق الإله من الأماكن الخفية (أي بعد أن اخترق طريقه في العالم السفلي).» وسنرى فيما بعد أن هذا الرسم وهذه المتون ستساعد على تفسير رحلة المُتوفَّى في السماء نهارًا ثم مروره في «روستاو»؛ وهي المكان الذي يعبر عن الفكرة الشعبية الجديدة، ثم رحلته في العالم السفلي، وهو الذي قد مثل في المصور الذي نحن بصدده في الصف الثاني منه، وحقيقة الأمر أنه لدينا في هذه المتون ومصورها ثلاثة آراء أو مذاهب دينية، وهي السياحة الشمسية شرقي السماء؛ أي سياحة الإله «رع» من الشرق إلى الغرب، والرحلة إلى «روستاو» وهي المقر الأخير للإله «أوزير»، ثم السياحة في العالم السفلي المسمى عند المصريين «دوات»، ومعنى ذلك سياحة المُتوفَّى مع الإله «رع» في العالم السفلي من مغيب الشمس إلى مطلعها في المشرق، والواقع أن رءوس الموضوعات الثلاثة التي ذكرناها هنا ليست موجودة في «كتاب الطريقين» بل استخلصناها من دراسته، والمتن الذي قبل المستطيل الناري السابق الذكر هو أنشودة تعد بمثابة مقدمة يتلوها المُتوفَّى تهيئة للسير في إحدى الطريقين، فاستمع لما جاء فيه (رقم ١):

> لقد أخذت النجوم المتلألئة التي في الأفق الشرقي تأفل عند سماع صوت «نوت» (إلهة السماء) عندما كانت تفسح طريق «رع» أمام الواحد القديم حتى يسير في دورته (اليومية)، فلترقَ إلى العلا يا «رع» الذي في محرابه (الذي في سفينة النهار) واستنشق النسيم، وشم ريح الصبا، وابتلع ... شبكتك في اليوم الذي تقدم فيه الخضوع لإلهة العدالة (ماعت)، وتقسم فيه أتباعك عندما تتقدم السفينة نحو «نوت» (إلهة السماء)، والآلهة القدامى يتقدَّمون عند سماع صوتك.» وعند هذه النقطة من المتن تنتهي أنشودة إله الشمس، ومن ثم يخاطَب المتوفى، فيقال له: «احسب عظامك، ورتب أعضاءك، وول وجهك شطر الغرب الجميل الذي تذهب إليه مجدَّدًا كل يوم؛ لأنك هذه الصورة الذهبية عندما توحد مع قرص السماء مع النجوم اللألاءة التي تعمل دورتك معها، وعندما تجدد يوميًّا مثل «رع» يعم الحبور في الأفق والترحاب من أمراسك (أي حبل سفينة الشمس الذي أصبح يمثل في صورة شخص).

وفي نهاية هذا المتن في تابوت القاهرة يوجد متن بمثابة شرح وهو:[٣]

فصل السياحة في سفينة «رع» العظيمة

«تأملوا أنتم أيها النجوم التي تطلع في «خرعحا» (مصر العتيقة)، إن الإله صاحب الأجزاء الألف! (يعني السفينة) قد وُلد، وأمراسه قد شُدت ومكانه قد هُيئ (؟)؛ وإني أقطع خشب الآلهة التي أبني بها السفينة من أولها لآخرها، وهي التي أصعد بها إلى السماء، وبها أُحمل إلى «نوت»، وإني أُحمل عليها مع «رع»، وإني أُحمل عليها مع القرد (القمر)، وإني أسير قدمًا بانشراح على ماء «وعرت» الخاص بالإلهة «نوت» عند باب الإله «سيح» (هو المريخ، ويسمى كذلك ابن آتوم إله الشمس عند الغروب).» وبعد ذلك ينتهي متن تابوت المتحف المصري بشرح يكاد يكون نسخة طبق الأصل من الفصل الأول: فصل السياحة في السفينة العظيمة لشمس الإله «رع» يوميًّا[٤] (؟) (٢)[٥] يا أيها اللهيب الوهاج الذي خلف «رع»، والذي يعقد تاجه، إن سفينة «رع» تهاب العاصفة! وإنك لامع، وإنك رفيع، وإنك تأتي اليوم مع «تحوت» (أو مع سفينة الليل) في دورته الفاخرة (أي دورة القمر أثناء الليل)؛ وبذلك أرى مجيء «ماعت» (إلهة العدالة رفيقة «تحوت» في سفينة الشمس)، والآلهة الذين في صورة أسود (تماثيل بو الهول، وهي تمثل إله الشمس عند الغروب)، وهم القائمون على حراسة المحاريب العدة المصنوعة من اليراع، حتى أراهم هناك وتفرح، ويكون عظماؤهم في حبور وصغارهم في سعادة، وإني قد مهدت طريقي إلى مقدمة سفينة [رع] وهي التي ترفعني إلى عليين مثل قرص الشمس، فأضئ مثل بهاء «رع» الذي أمده بثرائه، وقد ضمني ربًّا «للعدالة»، وعندئذ قال تاسوع الآلهة: «إن الذي هناك هو «رع» وأنتِ يا روح «أوزير» النائمة اجعلي والده الذي فيها (أي سفينة الشمس) يحكم في صالحه، وإني أجعل الميزان له مستقيمًا، وإني أتيت بالآلهة «تفنوت» ليعيش.

---

[٣] Lacau, Ibid. P. 189.

[٤] Lacau, Ibid, P. 189 (2).

[٥] يلاحظ هنا أن الأرقام العربية الموجودة بين قوسين تشير إلى الأرقام الموجودة على المصور، وهي التي تدل على مكان المتون فيه.

تعالي أسرعي؛ لأن الأب ينطق بقرار «ماعت» (العدالة)، إنه الإله «آتوم» أسرع.» هكذا صاح الذي في أصيله في حينه، «تأمل! لقد أتيت لأحضر له فكي «روستاو»، والنور الذي هو عين الشمس. هذه إشارة صريحة إلى الطريقين اللذين يسلكهما المتوفى؛ أي طريق الماء وطريق الأرض، وقد مثل كل منهما بفك الإله «جب» إله الأرض، (وفي نسخة أخرى قد مثلتا بطريقي «روستاو»)؛ ولأجل أن أضم إليه جموعه (يقصد هنا أعضاءه المختلفة التي تفككت وانتثرت بعد الموت)، وأبعد عنه الثعبان «أبو فيس» المؤذي؛ ولأجل أن أشفي له جراحه (بالتفل عليها)، وقد مهدت طريقي ومررت عليها بينكم، وإني أنا الذي يسكن بين الآلهة، تعالَ ودعني أمر قدمًا في سفينة رب «سيا» (إله الفهم)، أنت يا صورة «حوروز» (ويا صورة تحوت) الذي يشعل النار ويطفئها، ولقد مهدت طريقي يأيها الوالد المقدس، ويأيها القرد المقدس (أي تحوت). لقد دخلت الأفق، فانتقل بجانب الأمراء المقدسين، سأكون شهيدًا على من في السفينة المقدسة، وسأمر قدمًا على حاشية اللهيب اللامع التي خلف رب صاحب الذؤابة (أو أصحاب الذؤابات).» ثم يختم متن تابوت متحف القاهرة بالعنوان التالي: اقتحام الباب الذي يسمى ««حور» سيدها»: إنك تدير السفينة التي هي عينك (أي عين إله الشمس) يأيها الأب (أي رع). ثم يتلو ذلك: «تعويذة المرور على ردهات النار الخاصة بباب سفينة «رع» كل يوم.»

ومما هو جدير بالملاحظة في هذه المتون السالفة أن العقيدة الشمسية هي الفكرة الهامة فيها، مما يدل على أن هذه العقيدة كانت هي السائدة في هذا الوقت رغم ظهور العقيدة الأوزيرية وشيوعها. فنجد الجزء الأول يحتوي على أنشودة مدح لإله الشمس الذي كان يتطلع إليه المُتوفَّى بوصفه ابنه ليعد له مكانًا في سفينته التي كان يسيح فيها كل يوم من الشرق إلى الغرب؛ أي إن المُتوفَّى كان يرغب في أن يوحد بإله الشمس «رع». أما الجزء الثاني فقد كُتب على ما يظهر في صورة تعويذة سحرية الغرض منها إعداد سفينة للمتوفى يمكنه العبور بها إلى عالم الآخرة، ويدل المتن على أن المُتوفَّى قد وصل فعلًا إلى باب «روستاو» بعد اقتحام الحواجز النارية التي كانت مقامة في سبيله، وبخاصة ردهة النار التي تظهر على المصوَّر في شكل مستطيل، ويسمى بابها: «حور سيدها»، وهو الباب الناري المرسوم على الجهة اليسرى من هذه الردهة (رقم ٧).

على أنه يوجد في متن التابوت رقم ٢٨٠٨٥ المحفوظ بمتحف القاهرة إيضاحات كُتبت بالمداد الأحمر في نهاية هذا الفصل، وهي تمدُّنا بفكرة سديدة عن المقصود من هذا الكتاب، وهي: «إن من لا يعرف بداية هذا الكتاب ونهايته، يغمر الخوف اسمه

الذي في جوفه، وإن فلانًا يعرفه ولا يجهله، وإنه الروح المسلح الذي على رأس الأبواب، وكل إنسان يعرف هذا الفصل يكون مثل «رع» في شرقي السماء، ومثل أوزير في أعماق العالم السفلي، وسينزل إلى رجال البلاط الأربعة أصحاب النار، ولن يُحرق بها أبدًا وأنه وصلها بسلام آمنًا.»

ولا نزاع في أن هذا الإيضاح يدل بجلاء على أنه تعويذة سحرية، كما أنه يضع أمام القارئ الفكرتين الهامتين الخاصتين بعالم الآخرة، وهما العقيدة الشمسية والعقيدة الأوزيرية. ويلاحظ هنا ما جاء في المتن أن المُتوفَّى سيكون مثل «رع» في شرق السماء ومثل «أوزير» في أعماق العالم السفلي، والعقيدة الأخيرة مضادة للأولى تمامًا؛ وذلك لأن إله الشمس في شرق السماء يدل على الحياة، أما الإله «أوزير» الذي يعيش في العالم السفلي المظلم فيدل على الموت، ومع ذلك فإن العقيدتين قد امتزجتا وصارتا تكوِّنان فكرة واحدة؛ لأن «أوزير» توحد مع الإله «رع» كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

أما ما جاء عن ردهة النار التي ذكرت فيما سبق فقد وضحت على المرشد الجغرافي، وهي في الواقع مسكونة بطائفة من الجنِّ لم يرسم صورهم، وكل ما نعرفه عنهم هو أنهم ذكروا في أحد النقوش أربع مرات على الجدران النارية باسم «ندماء اللهيب»، ولا بد أنهم الكائنات الذين أشير إليهم في المتن باسم «ندماء النار الأربعة»، ومن ثم نعرف أنهم مخلوقات ضارة لا يمكن المُتوفَّى أن يقترب منهم إلا إذا كان مسلحًا بتعويذة سحرية، (انظر رقم ٦) ((Lacau, Ibid, P. 207 (2)).

ولذلك يستمر المتن الافتتاحي مؤكدًا لك ذلك فيقول: «دعني[٦] أمرُّ، إني أنا الواحد القوي سيد «الآلهة» الأقوياء، وأحد أشراف «رع» ورب العدالة «ماعت» وخالق «وازيت» (إلهة الوجه البحري). تأمل! إني أحد أتباع «رع». تأمل! إني امرؤ يتنزه في حقول قربان «رع». تأمل! إني أنا الإله العظيم، ومعترف بي أمام التاسوع الإلهي ليقدم لي القربان.»

ولا نزاع في أن هذا متن سحري به يتمكن المُتوفَّى من التغلب على كل الصعاب التي تعترضه في عالم الآخرة بقوة الكلمة التي فيه؛ ومن أجل ذلك نجد أن المُتوفَّى قد انتحل فيه لنفسه ألقاب الإله الأعظم ومناقبه، ويلاحظ أن المُتوفَّى قد اتخذ لنفسه هذه الصفات في بداية العهد الذي سمح فيه لعامة الشعب أن يعتنقوا المذهب الشمسي؛ أي مذهب

[٦] Lacau, Ibid, P. 189 (4).

الإله «رع» ويتمتعوا بمميزاته، ثم يستمر بعد ذلك المتن فاستمع لما جاء فيه على لسان المتوفى: «لقد اجتزت طريقي «روستاو» برًّا وبحرًا، وهما طريقا «أوزير» اللتان توصلان إلى السماء، وكل امرئ يمكنه السير عليهما يكون صاحب سلطان على أتباع «تحوت»؛ (أي القمر)، ويكون في وسعه أن يخترق كل سماء يُريد أن يعرج فيها، أما من لا يعرف كيف يسير على هاتين الطريقين فإنه سيُقضى عليه ويصبح قربانًا للموتى، أو يصير طعامًا للمعدمين، ولن يقام له العدل أبدًا. وإني من أتباع سماء «أوزير» والوارث بعد الرئيس (أي «أوزير»)، وإني «سبي» (اسم المُتوفَّى صاحب التابوت) محيي «أوزير» وإني أنا الذي أضرب لك الحراس «حات حزو» الذين هم ملك إله الشمس (وقد مثل هنا في صورة أسد).» وفي نهاية المتن نجد الشرح التالي: «تعويذة المرور عليها؛ أي (الطريق).»

ومما هو جدير بالملاحظة أن المُتوفَّى يخبر حراس الباب المؤدي إلى «روستاو» في هذه التعويذة أنه ليس بزائر جديد، بل إنه على علم بالسياحة بطريقي الماء واليابسة في عالم الآخرة، وأنه هو الذي بعث الحياة من جديد في نفس «أوزير» صاحب هذه الآخرة، بل إنه أكثر من ذلك ادعى أنه حامي الإله «رع» وبعبارة أخرى يدعى أنه هو المسيطر على الإلهين الرئيسيين اللذين يشرفان على السياحة السماوية والسياحة السفلية، وهذه التعبيرات الخارقة لحد المألوف من القوة والتهديد لا نجدها قط إلا في التعاويذ السحرية، وهذا المتن هو نهاية ما جاء على تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٣.

قرأنا في التعويذة السالفة أن طريقي «روستاو» بالماء وباليابسة هما «لأوزير» وأنهما يوصلان إلى السماء، وقد كان لزامًا على المُتوفَّى بعد أن ينتخب إحدى هاتين الطريقين أن يقتفيها دون أن يحيد عنها قيد شعرة؛ إلى أن يصل إلى هدفه المنشود وهو «روستاو»، وإلا كان مصيره جهنم وبئس القرار. وبعد ذلك كان على المُتوفَّى أن يقوم برحلة أخرى ليصل إلى سماء العالم السفلي حيث يستمر في رحلته في عالم الآخرة الأدنى؛ إلى أن يصل ثانية إلى شرقي السماء ليحيا مع الإله «رع» ثانية، وهكذا كل يوم. والواقع أن طريق الماء السالفة الذكر ليست طريق السماء، بل من المحتمل جدًّا أنها كانت بالنيل؛ لأن المُتوفَّى كان دائمًا عند قدماء المصريين يُحمل إلى مقرِّه الأخير على ظهر النيل، أو على الأرض حسب الأحوال؛ أي إنه كان صاحب الخيار في ذلك. ونعنى بالنيل هنا نيل عالم الآخرة.

تاريخ روستاو ومعناها

أما عن «روستاو» فلا بد أن نذكر أن هذا الاسم كان في بادئ الأمر يطلق على جبانة «منف» منذ الدولة القديمة، وقد جاء ذكرها في «متون الأهرام»، والواقع أن هذا الاسم كان يطلق بنوع خاص على جبانة الجيزة الغربية من منطقة الأهرام، ومن المحتمل أن هذا الاسم قد اشتُق من معناه اللغوي وهو: «باب الممرات»؛ أي باب المقابر في الجبانة، ومن ثم استعمل هذا الاسم في عالم الخرافات الخاصة بالمذهب الأوزيري؛ ولذلك نجد هذا الاسم يذكر منذ ظهور «كتاب الطريقين» في مملكة «أوزير» التي تقع في العالم السفلي في عهد الدولة الوسطى، وبخاصة في المتن الذي أصبح يطلق عليه فيما بعد الفصل السابع عشر من كتاب الموتى. وهاك الفقرة التي جاء فيها ذكر «روستاو» في هذا الفصل، وهي تُظهر بوضوح كيف أن ديانة «أوزير» أخذت تطغى على المذهب الشمسي (مذهب رع)؛ أي إن ديانة الشعب أصبح لها مكانة عظيمة، فاستمع لما يقوله المُتوفَّ أيًّا كانت منزلته الاجتماعية. وقد وُضع ذلك في صورة سؤال وجواب: إني أسير على الطريق المعروفة أمام جزيرة «العدل»، ما معنى هذه العبارة؟

الجواب: أنها الطريق التي يمشي عليها والدي «آتوم» عندما يسافر إلى حقول اليراع (وآتوم هنا يمثل إله الشمس المغربة). وفي رواية أخرى ترجع إلى عهد الدولة الحديثة نجد الجواب أو التفسير كالآتي: إنه «روستاو» الذي بابه الجنوبي «نارف»[٧] (جبانة إهناسية المدينة)، وبابه الشمالي مكان «أوزير»، ولكن جزيرة المبرئين هي «العرابة المدفونة».

ومن ذلك يمكن الإنسان أن يرى تغير العقيدة بإحلال المذهب الأوزيري مكان المذهب الشمسي، وبعبارة أخرى إحلال «أوزير» مكان «آتوم» إله الشمس عند الغروب، وكلا الإلهين يدل على عالم الآخرة. وكذلك يلاحظ هنا أن موقع حقل اليراع في الرواية القديمة في السماء وهو ما يقابل «روستاو» الذي موضعه الآخرة السفلي. والواقع أن «روستاو» كانت عالمًا سفليًّا آخر يحاكَم فيه المتوفى، كما يدل على ذلك متن من «كتاب الموتى» (Grapow, "Religiose Urkunden", P. 107) أمام المجلس العظيم في «روستاو» في الليلة التي بُرئ فيها «حور» أمام أعدائه.

---

[٧] كان يعتبر الإله «أوزير» إله «إهناسية المدينة» في العهد الإقطاعي (راجع كتاب الأدب المصري القديم، ج١، ص١٤٠).

وقد كتب في داخل الباب الناري مباشرة ما يأتي:

انظر إليَّ إني شخص قد بُعثت مثل «أوزير» وعظامه لم يلقَ بها بعيدًا.

أما على تابوت «برلين» فنجد أن المتن الافتتاحي يختلف اختلافًا بيِّنًا عن متن توابيت القاهرة، وينتهي بعبارة تشعر بضرورة هذا الكتاب لأي شخص يريد أن يقوم بسياحة موفقة في عالم الآخرة، كما ذكرنا من قبل في متن القاهرة. ومما يؤسف له أن المتن مهشم تهشيمًا مريعًا،[٨] ويبتدئ هكذا: «الابتهال لوجهك يأيها الوالد ...» وينتهي هكذا: «وكل إنسان يعرف هذه التعويذة يمكنه أن يمر هناك ويجلس بجوار الإله في كل مكان يوجد فيه. والإنسان يخافه؛ لأنه روح مسلح تمامًا. وكل فرد يعرفها (أي التعويذة) لا يهلك أبدًا. وقد صمتت «الأرواح الخبيثة» أمامه مثل صموتها أمام أي إله من الآلهة.»

ونجد سطرين عموديين أمام البناء الأحمر المستطيل الشكل (انظر رقم ٧) جاء فيهما: «إن باب السماء قد فتحه «أوزير» أمامي ... انظر إنه «رع» الذي معي معلنًا الطريق الخاصة ببحيرتي «شو» (إله الجو)؛ وإني فلان الذي أحيا «أوزير».»

ثم يشاهد بعد الحجرة التي تكلمنا عنها في الصف الأعلى من المصور مبنى قُسِّم قسمين أفقيين يفصلهما شريط أحمر، ويلاحظ أن القسم الأعلى أضيق من الأسفل، وفيهما شُق الطريقان، فأعلاهما يمثل نهرًا متعرِّجًا أزرق اللون، أما الطريق السفلية فمتعرِّجة كذلك ذات لون أسود.

وعندما كان يصل المُتوفَّى إلى هذه النقطة في رحلته كان لزامًا عليه أن يسلك الطريق التي اعتزم انتهاجها؛ لأنه كان حتمًا عليه أن يستمر في السير فيها مهما كان الأمر؛ إذ كان محظورًا عليه أن يحيد عنها، أو يلتفت يمينًا أو يسارًا، أو يرجع خطوة واحدة إلى الوراء؛ إذ كان في ذلك هلاكه؛ لأنه كان يوجد بين هاتين الطريقين بحيرة مستقيمة طويلة من النار كان مصيره السقوط فيها إذا حاد عن الطريق، وقد مثلت على المصوَّر بالخط الأحمر الذي يفصل بين شقي الصف الأعلى الذي نحن بصدده الآن.

وسنفرض الآن أن المُتوفَّى قد اختار لنفسه السير في طريق الماء ليصل إلى عالم الآخرة الذي فيه «أوزير»، فكان أول واجب عليه أن يبتدئ رحلته عند النهاية العليا

[٨] Schackenberg, ibid, ch. I, L. 1–11.

للصف الأعلى من المصوَّر حيث يبتدئ النهر ذو اللون الأزرق، ومن ثم ينحدر هذا النهر بشدة وينطلق محاذيًا بحيرة النار مسافة قصيرة، وبعد ذلك يتعرَّج كثيرًا، ويشاهد في أول هذه الطريق شيطان جاثم بمثابة حارس، وقد مثل في صورة تمساح أحمر الجسم يقبض بيده على سكين ضخم مهدِّدًا به كل من يحاول الاقتراب منه، (انظر رقم ٩) وقد كمن أمام بناء مستطيل الشكل أصفر اللون، والظاهر أن هذا المبنى مسكون بطائفة من الأرواح؛ وبعد أن يجتاز المُتوفَّى هذا المبنى يجد النهر يسير مصعدًا في منحنى شديد، وقد أقيم على الجانب الأسفل منه بناء آخر مستطيل الشكل كالسابق، ويظهر أنه مسكون بأرواح أيضًا (انظر رقم ١٤). ثم يصادف المُتوفَّى تمساحًا أصفر اللون مسلحًا بسكين عظيم، غير أن رأسه هنا يشبه رأس الحمار، وله قرنا غزال، وقد كمن جاثمًا على بناء مستطيل آخر مقبب أصفر اللون، وهذا البناء مسكون كذلك بأرواح (انظر رقم ١٨)، وبعد أن يجتازه الراحل بأمان يعترضه حارسان آخران خبيثان في طريقه، أحدهما في صورة شيطان رجيم له رأس حمار وجسم ثعبان، يخرج من رقبته ثعبان آخر رافعًا وجهه أمام هذا الشيطان؛ ولا بد أن المقصود من خروج الثعبان الثاني من رقبة هذا الشيطان، هو جعله مؤذيًا؛ لأن جسم الشيطان وحده في صورة جسم ثعبان لا يجعله مؤذيًا؛ وذلك لأن رأس الحمار لا يمكنه أن ينفث سم الثعبان القاتل، هذا بالإضافة إلى أنه لم يكن له مخالب ليقبض بها على سكين، وهو يحرس أحد البنائين المستطيلين اللذين يظهران مختفيين جزئيًّا في منحنيات النهر، وكان لزامًا على الراحل أن يمر بهما (انظر رقم ١٩ و٢٠).

أما البناء الثاني فيظهر أن حارسه إوزة تقبض بيدها على سكين، ويحتمل جدًّا أنها تمثل الإله «ست» إله الشر في إحدى مظاهره المؤذية، ويساعد هذين الحارسين ثعبان متدلٍّ من نهاية منحنى النهر الواقع بين البناءين المستطيلين السالفي الذكر، وهذا الثعبان يرمز للتضليل عن الطريق المستقيم، أو بعبارة أخرى يمثل طريقًا مضللة من يتبعها يُحرق في لهيب بحيرة النار. ولدينا متن على تابوت «برلين» يشير إلى هذا، وهذه الطريق المتفرِّعة الخطرة قد ظهرت على تابوت متحف القاهرة رقم ٢٨٠٨٥ (Lacau, Ibid, Pl., LVI) وهي متفرِّعة من النهر الأساسي الذي يسبح فيه المتوفى، غير أنها لم تُذكر في المتن، ولكن من جهة أخرى نجد أنه قد عبر عنه في تابوت رقم ٢٨٠٨٩ (Lacau, Ibid, Pl. LVII) دون أن يرسم بالألفاظ التالية: «الطريق الخاصة التي يجب ألا يسير فيها الإنسان.»

ويلحظ أن الطريق بعد اجتياز هذه العقبة قد أصبح خاليًا من الشياطين، وأهم ما يصادفه الراحل بناء مستطيل لونه أصفر ويُرى مقامًا على انحناء سفلي في النهر، ثم يرتفع في علوه حتى الإطار الأزرق الخارجي (انظر رقم ٢٢)، وتخبرنا النقوش المفسرة له أنه حقل «القربان المشهور» الذي سبق الكلام عنه. بعد ذلك يشاهد أن النهر يصعد من هذا المنحنى حتى الإطار الأزرق الذي يحيط بكل عالم الآخرة، ثم ينثني كرة أخرى وينتهي عند شاطئ بحيرة النار أمام جدار سميك؛ وبذلك ينتهي الجزء الأول من طريق الماء.

وجدير بالملاحظة هنا أن الرسام قد قلب وضع المتون المفسرة للرسم، فجعل متن طريق الماء مكان متن الطريق البرية، وكذلك يلاحظ أنه ليس هناك فرق عظيم بين متن تابوت «برلين» ومتون «توابيت القاهرة» في هذا الجزء من المصوَّر؛ ولذلك سنكتفي بترجمة متن تابوت كامل من توابيت القاهرة مع إضافة الزيادات الهامة التي تكون في متن «برلين».

ترجمة المتون الخاصة بالجزء السابق

(أولًا) نجد مكتوبًا على بحيرة النار ما يأتي: (٢٧)

> بحيرة النار العظيمة المحاطة باللهب، وكل إنسان لا يعرف أن يدخل في النار فإنه سيعذَّب فيها. وأن الراحل وريث الإله «أوزير» الذي سيمر هناك بباب بحيرة العدل.

وعند بداية الطريق المائية كُتبت تعويذة كان لزامًا على الراحل أن يتلوها (١٠) قبل أن يبتدئ رحلته المحفوفة بالمخاطر، غير أنها كما سبق الإشارة إلى ذلك خاصة بمتن الطريق البرية، وهي تعويذة أوزيرية الصبغة، فاستمع إليها:

> إني أنا الذي ولد في «روستاو» ووارث «أوزير» (أي ابنه حور)، وأن اسمي أصبح منعمًا بوساطة الذين أصبحوا منعمين (وهم الملوك الذين تُوفوا) هناك في «بوتو» وفي معبد «أوزير»، وهم الذين تتقبلهم آلهة الأرض (الثعابين) في «روستاو» عندما يقودون «أوزير» في المكانين المقدسين له، وإني أحد قوَّادهم إلى مكاني «أوزير» المقدسين (ما يقابل على الأرض الوجه القبلي والوجه البحري).

ولا بد أن هذه التعويذة كانت تُتلى للتمساح ذي الرأس الآدمي (انظر رقم ٨)، وسُمي «الحارس صاحب الصوت المحزن».

ونجد داخل المستطيل الأصفر اللون أسماء طائفة من الجن وقد عبر عنهم بما يأتي: (١١) «هؤلاء الذين فيه» (أي في هذا المكان)، وهاك بعضهم: (١) «الصولجان المهدَّم» (٢) «الصولجان المحرق» (٣) «الصولجان العظيم». وبعد ذلك نقرأ تعويذة خاصة بالمحافظة على الراحل من الأخطار التي تعترض سبيله وهي: (١٣) «إني واحد من قوادهم وإني «أوزير» المنعم سيد المنعمين، وواحد منعم يؤدي الشعيرة، وأنه «أوزير» الذي يحيا، وأنه «أوزير» الذي يحتفل بعيد اليوم الخامس عشر، وأنه بشير عيد نصف الشهر، يا «أوزير» الراحل الذي يعمل دورته اليومية مثل الشمس، ويا عين «حور» التي أعطيت «حور»، وهي التي كانت قد أعطيت «تحوت» ليلًا، (هذه إشارة إلى الاعتقاد القائل بأن عين «حور» اليسرى هي القمر)، عندما كان يسبح في السماء منتصرًا في سلام، وأنه يسبح في سفينة «رع». تأمل! إني فلان عظيم الاسم، وإنك تجعل اسمي عظيمًا على الطريق الحق، وإن ما أرتعد منه هو قاعة محاكمة الشر، وإن صفاتي هي صفات «حور» بكر أولاد «رع» الذي أوجد قلبه. إن «أوزير» الراحل ليس مصفدًا في الأغلال، وأنه لم يُطرد عند الأبواب». وفي رواية أخرى: «إن ما يخافه «أوزير» الراحل هو أن تحفر الأرض بالدم، وإن صفات «أوزير» هي صفات «حور» بِكر أولاد «رع» الذي أحيا قلبه.» وعبارة «حفر الأرض» بالدم تشير هنا إلى شعيرة كانت مرعية خلال عيد يحتفل به في «بوصير»، وهذا العيد كان يطلق عليه اسم «عيد حفر الأرض بالدم»؛ وتفسير ذلك أن الأرض كانت تُحفر باحتفال بعد أن تُروى بدم الأعداء المذبوحين؛ لأجل أن تصير خصبة، وخوف «أوزير» هنا هو خوفه من أن يراق دمه على الأرض التي ستحفر في هذا العيد (Relig. Urk. P. 127).

وهذا العيد في الأساطير المصرية كان يتمثل في عصبة الإله «ست» إله الشر وشركائه في قتل «أوزير»، وهم الذين تحولوا إلى ماعز أو كباش في بلدة «بوصير»، ثم ذُبحوا أمام مجلس القضاة، وبعد ذلك أُخذت دماؤهم وأعطيت للسكان في «بوصير» ليسمدوا بها أراضيهم.

وفي هذه التعويذة نشاهد أن الإله «تحوت» ومذهبه الذي كان مقر عبادته بلدة «هرموبوليس» (الأشمونين الحالية) قد برزا تمامًا. كما يلاحظ أن الإله «تحوت» هو الذي أعاد للإله «حور» عينه (والعين هنا هو القمر) بسلام؛ في حين أن «تحوت» نفسه كان

يمثل القمر سابحًا في كبد السماء منتصرًا على الظلام الذي كان يمثل «ست» إله الشر والظلمة.

ونرى أنه عندما صار المُتوفَّى منتصرًا؛ أي مبرئًا من كل ذنوبه أمام محكمة العدل، وأصبح يتحلى بكل صفات «حور الأكبر»، أمر حارس الباب أن يخلي سبيله ليدخل من الباب الذي يؤدي إلى «روستاو». والظاهر أن هذه التعويذة كانت تتلى عند الاقتراب من البناء المستطيل الأصفر الثاني، (١٤) وهو الذي كتب فيه أسماء ستة عفاريت أخرى وهم (١) «انحر». (٢) «الصوت العظيم». (٣) «مين». (٤) الثائر. (٥) الهائج. (٦) ...

أما الشيطان الذي مثل بتمساح له رأس حمار فاسمه «المراقب اللاعن» (١٥) وكذلك كتب في داخل المستطيل المقبب السقف (رقم ١٨) أسماء ستة كائنات، وهي إما جن خلقت من مارج من نار في صورة كائنات، وقد وصلتنا أسماؤهم أما صورهم فقد تُركت لخيال القارئ، وهاك الأسماء: (١٨) (Lacau, Ibid, P. 197 (18); Berlin Coffin, Ch. XII b, 1–4).

(١) النار المحرقة. (٢) اليقظ القلب. (٣) المتنبه الوجه. (٤) حاد الوجه. (٥) الذرب. (٦) العالي الصوت.

أما اسم الشيطان الذي له رأس حمار وجسم ثعبان فهو المراقب «المقنع الوجه»، (١٥) والثعبان الناري يدعى: «البحيرة التي تقطر» (نارًا) (٢٠)؛ وقد وصف بأنه يعيش مع الذين يعيشون في بيت الشاطئ (أي شاطئ بحيرة النار).

بعد ذلك يجد الراحل الطريق خالية مسافة قصيرة من الشياطين، غير أننا نجد الإرشادات التالية قد دوِّنت فيها (١٦): «هذه هي الطريق، وهذه هي التعويذة للمرور عليها (أي على الطريق)»، ثم يتلو الراحل التعويذة التالية التي على ما يظهر تحدِّثنا عن أشياء خاصة بالسعادة المقبلة (١٧):

> إن «أوزير» الراحل هو الإله «روتي» المسلح (أي الإله «رع» في صورة أسد)، وإن «أوزير» الراحل يعتبر ضمن أتباع أول أهل الغرب (أي أتباع أوزير) يوميًّا، وأراضيه في «حقل القربان» بين الذين يعرفون الشعائر المقدسة، وبين عمال «أوزير» الراحل، وهو الكاتب الذي بجانب «تحوت»، وإني أنا الراحل الذي يطهر «أوزير» هذا، ويطلق البخور يوميًّا بين الذين يحضرون القربان، وقد أمر «أنوبيس» (إله الجبانة) أولئك الذين يحملون القربان «لأوزير» الراحل بألا يأخذها منه أولئك الذين في الأسر، وإن «أوزير» الراحل مثله كمثل الأفق الأعلى، يبشر بمقدم المُتوفَّى عند الباب (باب الجنة).

والظاهر أن الباب المذكور هنا، وهو باب المبنى الأصفر المستطيل، فيه الخيرات والنعيم، ويدل على ذلك متن قد سبقه وهو بمثابة مشجع للراحل وعد فيه بالمتاع الذي ينتظره فاستمع إلى ما جاء فيه (٢١):

> إن كل روح من أرواح الشاطئين (أي شاطئا البحيرة النارية) قد وُضع فيه (في هذا المبنى) بين أتباع «أوزير»، أما التابعون الذين يقطنونه فإنهم أولئك المنعمون الذين يجلسون فيه في حماية الشاطئين هناك على مقربة من ربهم، وهم سكان حقول القربان الذين يطعم معهم «أوزير»، وكذلك كل سكان حقل القربان ممن يؤتى لهم بخير منه مع «أوزير» يوميًّا.

ومن مدلول هذا المتن نعلم أننا أمام حقل القربان السماوي الذي جاء ذكره في «متون الأهرام» بوصفها متونًا شمسية، ولكنه هنا قد صبغ بالمذهب الأوزيري لشيوعه في هذا العصر، وهو الذي كان مقره على الأرض في «عين شمس» كما سبق تفصيل ذلك.

وكان الراحل يعتقد أنه ليس في مقدوره التمتع بطيبات «حقل القربان» إلا إذا كان مجهزًا بالتعويذة التالية التي كُتبت في المكان الذي يتلو هذا البناء الأصفر.

(Lacau, Ibid, P. 191 (25–26); Berlin Coffin, Ch. XII b. 39–50).

وهي: (٢٥ و٢٦) «تعويذة لوجود الإنسان في «حقل القربان» بين الآلهة أتباع «أوزير» كل يوم طعامهم ... بين الأحياء، وأنهم ليسوا أمواتًا أبدًا، ونصيب الراحل من الحقول موجود هناك، وهو يرى «أوزير» كل يوم، وكذلك «تحوت»، وأنه لن يصده الأشرار أرباب الأبواب، (أي حراسها)؛ لأنه ليس من بين أولئك الذين ذهبوا ليوقع عليهم العقاب.»

وقد ذكرت هذه التعويذة على مصوَّر تابوت «برلين» مع بعض اختلافات وهاك ما جاء فيها:

> تعويذة لوجود الإنسان في «حقل القربان» بين الذين بعثهم أوزير، وبين أتباع «تحوت»، ومعهم خبزهم بين الأحياء الذين لا يموتون، بل مُنحوا ريح الحياة في أنوفهم ... وهم الذين لا يموتون أبدًا، وكل إنسان يملك نصيبه من الخصب في حقل القربان، وسيرى «أوزير» كل يوم مع «تحوت» ولن يطرده الأشرار حراس الأبواب الذين يصدون البطش.

وبهذا تنتهي المتون التي دوِّنت على الجزء الأول من طريق الماء على تابوت القاهرة الذي نحن بصدده.

وصف طريق البر إلى عالم الآخرة

والآن نعود بالقارئ لبحث الطريق اليابسة التي كان يسير عليها الراحل إلى عالم الآخرة إذا وقع عليه اختيارها.

ولأجل أن نفهم سيره في هذه السبيل يجب علينا أن نعود بالقارئ إلى الحجرة الخلفية التي تتفرع من الطريق الثانية من ركنها الأسفل الواقع خلف جدار من نار، عند هذه النقطة يتفرع طريق اليابسة ذو اللون الأسود ويسير بانحدار ملتوٍ يأخذ في الاتساع حتى يصبح منحنيًا واسعًا، وعند هذه النقطة يعترض الراحل أول شيطان حارس للطريق في صورة «بو الهول» له رأس إنسان ذو لحية طويلة، ويحلي رأسه قرص شمس وضع على قرني كبش، وجسمه وقائمتاه الخلفيتان لأسد. أما قائمتاه الأماميتان فتشبهان الدودة التي كان المصري يفزع منها في كل زمان ومكان خوف أن تأكل جسمه بعد الموت، والظاهر أن هذا الحيوان الغريب في مجموع أعضائه كان من مارج من نار.

بعد ذلك يعترض الراحل في سيره انحناء ثانٍ يقوم بحراسته حارس في هيئة كلب أصفر اللون، ويلاحظ أنه واقف على قائمتيه الخلفيتين، وقابض بمقدمتيه على سكين. ونجد في نفس هذا الانحناء شيطانًا آخر في صورة «بو الهول» له رأس إنسان محلى بريشة، ويقبض بمخلبه على سحلية ويلتفت خلفه، والظاهر أنه حارس غير مؤذٍ؛ إذ يحدثنا المتن أنه يعلن قدوم الراحل. ويعقب هذا الانحناء سبيل مرتبك متشعب يخرج منه ثلاث طرق كلها مسدودة، والجزء الأوَّل من هذا المكان المتشعب النواحي على هيئة مربع منحرف الأضلاع. ويرى في شيطان حارس جسمه جسم دودة ورأسه رأس ثور، وفي الجزء الثاني من هذا المكان، وهو بناء متوازي الأضلاع، ويُرى حارس في صورة حيوان صغير ذي رأس أسود يشبه رأس الحمار وجسمه جسم نمس، ومن المعلوم أن النمس كان حيوانًا مقدسًا يرمز به للإله «آتوم»؛ أي الشمس عند الغروب.

وبعد أن يخرج الراحل من هذا المكان المعقد المسالك بسلام؛ يعترضه في بداية المنحنى الذي كان ينزل فيه حارس في صورة قط ليس له قوائم خلفية، واقف في الفضاء على مقدمتيه على ظهر سكين عظيم، ولا يكاد الراحل يفلت من خطر هذا الشيطان الحارس حتى يعترضه في طريقه ثعبان أزرق اللون له رأسان، في كل طرف من نهايتي

جسمه رأس، ويشاهد بجواره ثعبان آخر يتجه اتجاهًا مضادًا للحراس السابقين، وشكله عادي. وفي الانحناء العميق الذي يقع فوق هذين الثعبانين نشاهد كائنًا خرافيًّا له رأس كبش أسود اللون وجسم دودة حمراء، وكذلك يشاهد قبالة الثعبان الأزرق السالف الذكر فرس بحر ضخم أحمر اللون يقف على مؤخرتيه ويقبض بمقدمتيه على سكين ضخم، ويلاحظ أن الطريق من فوقه منحنية ومنحدرة انحدارًا شديدًا، متجهة إلى أعلى وينتهي هذا الانحدار عند بحيرة النار قبالة نهاية الطريق المائي التي في الصف الأعلى، ويقف في نهاية هذه الطريق البرية حارس آخر في صورة قرد يلَوِّح بيده سكين، ولا يفوتنا أن ننوِّه هنا بأن القرد هو الحيوان المقدس الذي كان يتقمصه الإله «تحوت»، كما كان يظهر القرد كذلك في صورة روح مخيف مسلح بشباك صيد السمك، كما جاء ذكر ذلك في كتاب الموتى (Book of The Dead, Ch. CLVIII b).

ولا بد أن نلاحظ هنا أن المصوَّر الذي رسم على قعر تابوت «برلين» يختلف عن مصوَّر تابوت القاهرة في بعض النقط، هذا فضلًا عن أنه خالٍ من الرسوم الدالة على صور أولئك الحراس الذين وجدناهم على تابوت القاهرة، وقد سبق وصفهم.

المتون المفسرة للمناظر السالفة

وبعد وصف الطريق وما فيها من عقبات نتكلم عن المتون التي تفسر لنا ماهية الصور التي عليها، وهي التي وصفناها فيما سلف.

ففي البداية نجد متنًا قصيرًا بمثابة مقدمة وهو (٢٨):

> هذه التعويذة خاصة بالمرور عليها (أي على الطريق) وإنهم (أي الحراس) أصحاب هذه البحيرة.

وهذا المتن في الواقع هو مقدمة لتعويذة يجب على الراحل تلاوتها، وكما أسفلنا فإن هذه المتون التي نجدها مع «الطريق البري» هي في الواقع خاصة بالطريق المائية؛ إذ نجد متنًا مقابلًا لها على مصور متحف برلين غير أنه مهشم. (Lacau, Ibid, P. 192 (30); Berlin Goffin, Ch. XII, c. 3–8).

والتعويذة (٣٠) هي: «دعني أمر بسلام، إني أسلك طريقي، دعني أقلع بالسفينة، إن صفاتي هي صفاتها (أي السفينة)، وما ينبغي أن يعمل ضدي سيعمل ضدها إذا اتفق أنكم قمتم بعمل شيء ضدي، وإن واجبي أن أكون ضد التمساح (الخطر).»

وبعد هذه التعويذة يذكر لنا اسم الحارس الأول الذي مثل في صورة «بو الهول» وهو (٢٩): ««اللاعن الذي يصد التمساح»، هذا هو حارس المنحنى وهذا هو اسمه»، وبعد أن ينجو الراحل من خطر هذا الشيطان، كان عليه أن يتلو التعويذة الآتية لأجل أن يعتصم من الأخطار التي كانت تقترب منه بسرعة وهي: (٣٢) «إني إنسان يصيد التماسيح عندما تقترب منه، ويملك بيضة «رع» (قرص الشمس) فيخفيها اليوم ويظهرها في الصباح المبكر، وإن حارسها هو مخفيها، وإني أنا المهاجم له، وإن أبغض شيء عندي أن أنثني عندما أتعرَّف عليه، وإنه لن يسكن في الأفق؛ لأني سأقصيه مع الإله بوصفه ثائرًا» (ضدِّي).

ويظهر أن هذه التعويذة كانت موجهة لشيطان حارس في صورة حيوان يشبه الكلب اسمه «مدس حر» (صاحب الوجه القاطع) حارس الباب هذا هو اسمه.» أما «بو الهول» الذي يقوم بحراسة المنحنى الذي يأتي بعد الأول فقد كتب معه الشرح التالي (٣٣) «اسمه «معكتي نتر» (أي الحامي المقدس) وهذا هو حارس المنحنى، وأنه حارس من ينزل فيه (أي المنحنى).» على أنه توجد تعويذة لاتقاء خطر هذا الحارس وهي: (٣٤) «لقد أتى الراحل مثل «حور» فخار الأفق السماوي عند أبواب الأفق، وإن الآلهة تفرح عند اقترابه، وحينئذ يكون شذى عبير الآلهة متجهًا نحوه، ولن ينتابه شر حراس الأبواب، ولن يعادوه، وإنه الخفي الوجه في معبد الإله.»

نذكر بعد ذلك التفسير الذي صحب الشيطان الممثل برأس ثور (٤١) وجسم دودة وهو (٤١): «إن وجهك وجه فرس بحر يضرب الغاضب (أو القرن الذي يطعن الغاضب)»؛ وعلى ذلك يلاحظ أن الرسام لا بد قد أخطأ في رسمه، وقد كان لزامًا على الراحل أن يتلو التعويذة التالية ليمر بسلام في الجزء الثاني من هذا المكان وهي: (٤٢) «هذه هي التعويذة الخاصة باختراقها (أي الطريق) بالذين على بحيرتهم.»

ويأتي بعد ذلك اسم الشيطان الحارس الممثل برأس حمار وجسم نمس وهو: «وجه حمار» هذا هو اسمه.» أما التعويذة التي كان يتلوها الراحل لينجو من شر هذا الشيطان الحارس فهي (٣٥): «إني فلان صاحب الاسم العظيم، وإني أنا العظيم الذي يمهد طريق «ماعت» (العدالة)، وإن ما أشمئز منه هو مكان المحاكمة الظالمة، وإن صفاتي هي صفات حور الأكبر الذي نفذ ما يرغب فيه، وعلى ذلك لن يقبض علي، ولن أصد عن الأبواب، وإني الراحل بوصفي «روتي» (إله الشمس) المسلح، وإني «حقات» (إلهة تحمي «أوزير») سيدة المحيط الأزلي، وإني أعيش على الآثم، وإني أرث أفق «رع»، وإني

الراحل بوصفي «آتوم» (الشمس المغربة) رب السكين، وإني أقول بأني أرث الأفق، وإني أمهد طريقًا للإله «رع» عندما يضع الوراثة، وإني أعرف اسمه.»

بعد ذلك يأتي متن في صورة خطبة يشرح فيها الراحل كيف تُفتتح أبواب السماء والأرض أمام قوة الشمس القاهرة، وهو (٤٤):

> فصل في تنعيم الروح الذي ولد من «أوزير» يقول الراحل: لقد فُتحت أبواب السماء، لقد فُتحت أبواب الأرض، لقد فُتحت أبواب الغرب (الآخرة)، لقد فُتحت أبواب الشرق، لقد فُتحت أبواب محاريب الجنوب والشمال، ولقد فُتحت الأبواب والبوابات على مصارعها عندما يشرق «رع» من الأفق، ولقد فتحت له أبواب سفينة الشمس الليلية، ولقد فتحت له أبواب سفينة الشمس النهارية عندما يصل «شو» (إله الفضاء) وعندما يخلق «تفنوت» (إلهة الندى) وهما اللذان كانا يتبعانه من بين الذين في ركابه.

وهنا نجد الثعبان أو الحية ذات الرأسين يعترض الطريق وقد كتب اسمه (٤٥): «سركت» التي على امتداده (أي على امتداد الطريق).

أما المنحنى العميق الذي يأتي بعد ذلك فكان يحتاج اجتيازه إلى تعويذة خاصة يتلوها الراحل حتى يمر بالحارس دون أن يلحقه أذى، وعنوانها هو (٣٦): «إنه فصل للمرور عليها (أي الطريق) (Lacau, Ibid, 36; Berlin Coffin, Ch. XII d, 7).

أما التعويذة نفسها فهي (٣٧): إني فلان الذي يبلِّغ رسالات الإله «رع»، ولقد حضرت، وإني أبلغ الرسالة لسيدها.» والظاهر أن التعويذة كانت موجهة للشيطان الذي رأسه رأس كبش وجسمه جسم دودة، وقد كتب عنه (٣٨): «إنه حارس المنحنى واسمه صاحب الوجه الذي ينبئ عنه والذي يعيش على القذى.» وكذلك نعلم عنه ما يأتي (٤٦): إنه هو الذي في المنحنى.»

أما الثعبان العادي فقد ذكر عنه (٤٧، ٤٨) أنه حارس المنحنى (أو حارس منحنى البحيرة) الذي يصد حامل المقمعة، والذي يخاطب والدته في صورة «شيفت» (إله في صورة كبش يُعبد في إهناسية المدينة).»

أما التعويذة التي كان يجب على المُتوفَّ أن يتلوها ليفر من سكين الحارس الذي في صورة فرس البحر فإنها وجدت على كل من تابوت القاهرة وتابوت «برلين» وهي (٤٩): «إني فلان صاحب الأوجه العدة الذي يجعل صوت السماء يرعد، والذي يصعد إلى

«رع» (أو الذي يبلغ الصدق «لرع»)، والذي يقمع قوة «أبو فيس» (الثعبان عدو رع)، ويخترق القبة الزرقاء، ويقف عاصفة (أو ثورة) نواتي الإله «رع»؛ وذلك لأني أعطيت سيفي الذي أخفيته، وأعلنت حضور رب القربان في صوره إلى المكان الذي هي فيه (أي سفينة الشمس).

وأخيرًا قيل عن القرد الحارس الذي يقف في نهاية الطريق البرية ما يأتي (٣٩-٤٠): «عظيم الوجه الذي يصد التماسيح حارس محرابه.» وكذلك قيل عن القرد والتمساح معًا: «إنهما حارسا منعطف البحيرة.»

وبذلك ينتهي الجزء الأول من الطريق البرية، والواقع أن وصفه هي وصف الطريق المائية.

(٤-٢) الجزء الثالث من مصور تابوت القاهرة رقم (٢٨٠٨٣)

لقد لاحظنا في الجزء السابق أن كلًّا من طريق البر وطريق الماء ينتهي عند شاطئ بحيرة النار أمام جدار سميك قد مثل عليه ثلاثة أبواب سود موضوعة بعضها فوق بعض يؤدي كل منها إلى الإقليم الذي يقع خلفه، فالباب العلوي منها على ما يظهر كان خطره لا يقل عن الخطر الذي كان يتهدَّد الراحل حتى الآن عند الأبواب التي مر منها، والمساحات التي تقع خلفها هذه الأبواب قد قُسمت أفقيًّا في الرسم ثلاثة أقسام يفصل كل منها عن الآخر حاجز من نار، وكل جزء يحتوي على ساكنيه من الشياطين العجيبة الخلق، الشاذة التركيب، ولكن يظهر أنه لم يخلق واحد منهم من مارج من نار، ففي القسم الأعلى نجد حارس الباب الرئيسي له جسم دودة ورأس تشبه رأس القط أو رأس ابن آوى، وكذلك مقدمتاه، ويشاهد ملوِّحًا بسكين في كل من مخلابيه ويشاهد خلفه مباشرة كبش أسود طبعي الشكل، هذا وقد رسم خلف الحارس الأول عشرة كباش جاثمة، وكل منها على حامل، ويلحظ أنه في يد كل من ثمانية منها سكين، وكذلك يرى أن خمسة منها قد رشق في مؤخر كل منها سكين، وهذا القسم يعلوه حاجز من نار.

أما الجزء الثاني الذي هو أسفل السابق فنجد أن الحارس الأول الذي عند الباب مباشرة قد مثل على هيئة رجل قد مثل نصفه الأسفل خط سميك متموِّج أسود اللون ويحمل في يده عصا، أما الحارس الذي يليه فهو في صورة آدمي مثل جالسًا في الفضاء؛ وهذا الوضع نشاهده كثيرًا في الرسوم الخاصة بعالم الأرواح المصرية، ويوجد بكثرة في كتاب «ما يوجد في العالم السفلي» وفي «كتاب البوابات»، وهذا المخلوق يحمل في يده

سيفًا عظيمًا، ويشاهد خلفه مباشرة عشرة رءوس كل منها يمثل رأس أرنب ومرتكزة على حامل أسود متموِّج قد رشق فيه سكينان واحد منهما أسود والآخر أبيض اللون.

أما القسم الثالث فنجد الحارس الأول الذي يقف عند الباب مباشرة قد مثل في صورة آدمي محنط له رأس كلب أو ابن آوي، ويلاحظ أنه قد وضع يده على الباب إما ليفتحه للراحل الذي كان يعرف التعويذة السحرية الحقيقية، أو ليمنع فتحه لكل من يجهل هذه التعويذة، وخلف هذا الحارس يشاهد قط محنط يحمل في يده قضيبًا، وخلف هذا الحارس يأتي سبعة جعارين سود يرتكز أسفل كل منها على عماد ملتوي الشكل، وينتهي كل من هذه الأقسام الثلاثة بباب أسود كالذي نجده عند بداية كل منها، ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن هذا الرسم يختلف عن الرسم الذي على توابيت القاهرة الأخرى.

وأهم ما يلفت النظر في هذا الجزء من «كتاب الطريقين» هو أشكال الشياطين الحراس، فبعضها قد صُبغ بصبغة المذهب الشمسي الصريح؛ إذ نجد أن الكباش تمثل الكثير من الآلهة المصرية مثل الإله «آمون رع» والإله «خنوم» والإله «حرشاف» وكذلك الإله «رع» نفسه بوصفه إله الشمس ليلًا.

أما مجموعة الكائنات الثانية التي مثلت في الجزء الثاني برءوس اثني عشر أرنبًا فإنها تعيد إلى ذاكرتنا في الحال مجموعتي ساعات الليل والنهار، وقد رمز لعددهما هنا بالسكين الأسود والسكين الأبيض المرشوقة في العمود الأسود المتموج الذي يرتكز عليه كل رأس من هذه الرءوس.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الأرنب كان الحيوان المقدس الذي كانت تتقمصه الإلهة «وننت» التي كان يرمز بها للمقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه القبلي، وعاصمتها «الأشمونين» الحالية، وهي المقاطعة التي كان يعبد فيها الإله «تحوت» إله القمر، هذا فضلًا عن أن كلمة ساعة كانت تكتب بصورة الأرنب في اللغة المصرية القديمة.

أما مجموعة الكائنات الثالثة في القسم الثالث وهي الجعارين فهي معروفة لنا بأنها صور لإله الشمس «خبر» وقت الصباح.

المتون الخاصة بهذا الجزء التي على التابوت ٢٨٠٨٣

نقرأ أمام الجدار الذي فيه الأبواب السوداء التعويذة التالية (٢٤): «تلك هي الثعابين حراس الأبواب المشرفون على الطريق»؛ وتشير بطبيعة الحال هذه التعويذة إلى أن بعض

الثعابين كانت حراسًا لأبواب هذا القسم الجديد من عالم الآخرة، غير أنه قد أهمل رسمها على المصورات التي وصلتنا حتى الآن. ولكن من جهة أخرى نجد فيما بعد في «كتاب البوابات» أن كل بوابة من البوابات الإحدى عشرة الخاصة بعالم الآخرة كان يحرسها ثعبان، في حين أن صلالًا كانت تمطر من الجزء الأعلى من البوابات وابلًا من اللهيب (Budge, "E. H. H.", Vol. II, PP. 87, 101, 121, etc) ويشاهد على أول باب من مصورنا المتن التالي (٥١) (Lacau, Ibid, P. 195) «النار التي يبعدها هذا الشيطان.» وهذا المتن قد وُجد مكررًا على البابين الآخرين.

والظاهر أن الحارس الأول لم يسمَّ، أما الحارس الآخر وهو في صورة كبش أسود فنُعت (٥٤) «رب الغضب»، في حين أن الكباش الجاثمة لم يذكر إلا اسم واحد منها وهو (٥٥) «عظيم الريح». وقد أطلق على جميعها اسم (٥٦) «الحرَّاس» عامة؛ ولذلك نجد أنهم نُعتوا في المتن بالذين في حراسته (أي الباب)، ولا بد أنهم هم الحراس الذين جاء ذكرهم في التعويذة التي كان يتلوها الراحل لأجل اقتحام هذه العقبة، والتعويذة هي (٥٧) «إني فلان عظيم الصوت في السماء وأنتم يأيها العظماء، ابتعدوا يأيها الحراس (أي الأموات)، إني أنا الذي أمهد الطريق لأسيادكم.» وعنوان هذه التعويذة هو: «فصل المرور عليها» (يقصد المرور بثلاثة الأبواب التي كان لا بد أن يمر منها الراحل، أما اسم الحارس الأول الذي يحرس القسم الثاني فهو (٦١): بيت نافث اللهيب»، واسم الشيطان الجالس في الفضاء في صورة إنسان هو (٦٢): «صاحب الأوجه النارية». أما الكائنات التي مثل كل منها برأس أرنب فقد أطلق عليها اسم (٦٠): «الحراس له» (أي الباب)، وكذلك كانوا ينعتون (٦٣): «أرباب الصولجانات»، هذا فضلًا عن أننا نجد العنوان التالي: «فصل المرور عليها (أي الطريق).» ثم يتلو ذلك نص التعويذة (٦٤): «إن وجهي مثل وجه» حور «ومثل وجه التاج العظيم، والصولجانات ملكي، وإني أنا الراحل.»

والظاهر أن هذه التعويذة كانت تمكن المُتوفَّ من المرور؛ إذ نجده يوحد نفسه بتلك الكائنات التي كان لزامًا عليه أن يمر بها، وفي هذه الحالة كان يدعي لنفسه السيادة عليهم، وكان الحارس الأول للقسم الأول يُسمى (٦٨): «صاد الأعداء»، (٦٩): «ضارب الوجه»، أما تسعة الجعارين التي نشاهدها في المصور بعد هذا القط فكان يطلق عليها لقب (٧٠): «الذين وكل إليها أمرها» (أي أمر الطريق)، وكان لزامًا على الراحل أن يتلو (٦٦): «فصلًا للمرور عليها»، وهذا الفصل هو (٧١): «إني أنا الراحل الذي يجلس أمام عين «حور» لأقيم العدل بوصفي «تحوت» (مثل رع) وإن صفاتي صفات

«تحوت» (الذي كان يجلس عند المحاسبة ويشرف عليها).» وبعد ذلك يواصل الراحل سيره فيصادف بعد تخطي هذه الأبواب برجًا عاليًا أزرق اللون، وقبته حمراء كتب عليها كلمة (٧٢) «نار». والواقع أن الراحل قد دخل الآن جزءًا هامًّا من عالم الآخرة، وقد أفلح الرسام في تصويره تصويرًا منطقيًّا. فقد قسم هذه المساحة المستطيلة الشكل ثلاثة أقسام أفقية، يحتوي القسم الأسفل منها على ما يظهر على متن مؤلف من سبعة أسطر أفقية قد مُحي معظمها، أما القسمان الآخران فتدل ظواهر الأمور على أنهما كانا مهبطًا لشياطين غريبة الشكل، وسنرى أنها قد وُزعت على مقدار طول الطريق، ويلاحظ هنا أنه قد صار يطلق على الطريق العلوية الطريق البرية، وهي التي كانت حتى الآن تظهر في الرسم بأنها الطريق المائية، رغم أن المتن الذي كان يفسر مناظرها يدل صراحة على أنها الطريق البرية.

ويلاحظ أنه كان مصورًا على القسم الأول في الأصل خمسة كائنات لم يبقَ منها إلا ثلاثة صورت في شكل آدمي ملونة باللون الأحمر، مما يدل على أنها قد خُلقت من نار، غير أن كل واحد من هذه المخلوقات العجيبة له رأس جعل، وقد مثل كل واحد منها جالسًا في الهواء، ويحمل في يده اليسرى صل، وفي اليمني سحلية.

أما القسم الثاني فقد كان مسكونًا بخمسة كائنات غريبة الشكل كذلك مُحي واحد منها.

ويلاحظ أن الكائن الأول قد مثل في صورة إنسان له رأس كبش أحمر اللون يجلس في الفضاء أيضًا، ويقبض بيده اليسرى على صل عظيم في حين أن صلًّا آخر يُرى خارجًا من فمه، ويواجه صفًّا من الكائنات العجيبة الشكل مُحي واحد منها، واثنان منها قد أصابهما عطب في النصف الأسفل منهما.

وأول هذه الكائنات الثلاثة الباقية ذو لون أزرق ورأسه رأس حيوان يصعب تحقيق نوعه، ويلاحظ أن سكينًا قد رشق في كتفه وآخر قد مرقت في دبره، وفي يده سحلية حمراء اللون. أما الكائن الثاني فهو قط أصفر اللون، والكائن الثالث يمثل ابن آوى برأس أحمر وجسم إنسان أزرق.

وهنا ينتهي هذا القسم من «كتاب الطريقين» ببرج أزرق اللون تعلوه قبة من نار، غير أنه ينقصه هنا شكل التيه الذي شاهدناه مرسومًا في نهاية القسم السابق. ومما أوضحناه نعرف أن الطريقين لا تزالان مستمرتين ولكنهما ليستا في العراء كما كانت الحال من قبل؛ إذ نشاهد من الآن فصاعدًا أنهما تمران في ربوع وطرق ومبانٍ مسقوفة.

نجد أولًا مكتوبًا على القبة الحمراء القائمة عند بداية هذا القسم كلمة «نار»، كما كُتب في داخل البرج نفسه تعويذة هامة وهي (٧٣): «تعويذة طريقي «روستاو» وهما الطريقان اللتان توصلان إليه، ومن سار على واحدة منهما فإنه محرم عليه السير على الأخرى؛ إذ يصد، ومن يعرف هاتين الطريقين فإنه سيجدهما دائمًا؛ وذلك لأن لهما جدرانًا عالية تحميهما مدى حادة خاصة «بروستاو». وهاتان الطريقان إحداهما على الماء والأخرى باليابسة.

ومن هذه التعويذة نعرف بوضوح أن المُتوفَّى قد حذر صراحة التردد بالعدول عن إحدى الطريقين بعد اختيارها؛ لأنه لو حاول ذلك كان فيه هلاكه، ومن ثم نعلم أن الطريقين لا تزالان مستمرتين، أما الإشارة إلى الجدران الشاهقة المحمية بالمدى فالمقصود منها ذلك البناء المقبب الذي وصفناه فيما سبق، والظاهر أن هذا الإقليم هو في الواقع «روستاو».

وبعد أن يجتاز المُتوفَّى البرج في سلام كان لزامًا عليه أن يتلو تعويذة أخرى؛ هي في الواقع تكملة للسابقة وهي (٧٤): يأيها المتعبون «الأموات»، والذين قد أكبوا بوجوههم على أحجارهم، ومن قد أخفيت محياهم، والذين يعيشون على صدقهم، ومن أسنانهم هي سن، «أوزير» (أي عمرهم مثل عمر أوزير)، إني أنا عظيم القربان في وقته المحدد، والذي يسلك طريقه في النار، والذي أحيا «أوزير»، وإني أنا الذي مهد الطريق، فدعوني أمر حرًّا، وأرى «رع»، وأكون بين أولئك الذين يقدمون القربان، (وإني أنا الواحد الخفي في المحيط العظيم، وإني محاكم الرجلين «حور» و«ست»، وإني قد أتيت ومحوت كل ضار بأوزير).

ومما ينبغي النص عليه هنا أنه بالرغم من أن هذا المتن أوزيري الصبغة، وأنه خاص «بروستاو» أن المُتوفَّى كان يعقد أمله الأخير على رؤية «رع»، على أن رؤيته كانت لا تتسنى له إلا نهارًا في السماء أو ليلًا في العالم السفلي. وكذلك يشير هذا المتن إلى «تحوت» إله القمر الذي لمح به عند ذكر الرجلين «حور» و«ست»، هذا ونجد في الجزء الأعلى من هذا القسم متنًا مفسرًا له هو؛ «الطريق إلى «روستاو» على اليابسة، الطريق إلى روستاو على الماء.»

وعلى أثر دخول الراحل في هذا القسم كان لزامًا عليه أن يتلو التعويذة التالية (٧٦): «إني أنا الراحل الخفي، والفيضان الذي يفصل بين الرجلين («حور» و«ست») ولقد أتيت لأبعد الحزن وأخفف آلام «أوزير» ولقد أتيت لأصد الشر.

أما أوَّل شيطان حارس في الصف الأعلى فينعت (٧٨): «النيل المنتشر» واسم الحارس الثاني هو (٧٨): «المعطي له» واسم الحارث الثالث (٧٩): «نحب كاو» وهو ثعبان عظيم له رأسان وذيله ينتهي برأس ثالث، كما جاء ذكر ذلك في كتاب «ما يوجد في عالم الآخرة»، وهو معروف بأنه مقدِّم القربان، وقد ذكر عنه ما يأتي: «إن صاحب هذه الصورة موجود في مكانه «نت مو» على الطريق المقدس المؤدية لطريق «روستاو»، وإنه يسافر إلى كل مكان يوميًّا ويعيش من فيض ما يخرج من فمه.»

ونجد هنا أنه رغم تغيير صورة هذا الحارس فإن «نحب كاو» كان يعمل بوصفه حارس طريق «روستاو» وهي الوظيفة التي كان يقوم بها على تابوت رقم ٢٨٠٨٣، أما الحارس الرابع فاسمه (٨٠): «الآكل آبائه».

أما في القسم الثاني فأول حارس فيه يسمى (٨٢): «الطارد ست»، أما الحارس الثاني فيحمل اسمًا غريبًا وهو (٨٣): «والد ثور عين شمس السيئ الحظ»، واسم الحارس الثاني قد مُحي بعض الشيء، وما تبقى من الأسماء الأخرى قد مُحي كلية.

والمتن الذي يشغل الصف الأسفل من هذا الجزء من المصور قد هشم تهشيمًا كبيرًا، وقد وجدنا فيما بعد أنه الفصل ١٤٦ من كتاب الموتى وهو (٨٨): لقد ثُبت بقوة الأملاك في العرابة، وقد مهد الطريق «لروستاو» لأجل أن يختلط بأولئك الذين يرون الآلهة في القصر العظيم، وهم يقدِّمون له الثناء؛ ولقد حضرت اليوم أمام باب «إمنتت» (أي باب الآخرة في الغرب)، وفي رواية أخرى «باب الأرباب» (أي أرباب الآخرة).

الجزء الأخير من الصف العلوي

هذا الجزء من الصف العلوي لا يزال يمثل جزءًا من البناء، وهو الشرفة التي كان يطل منها الفرعون عادة ليوزع المكافآت على عظماء رجال دولته في مناسبات خاصة في عالم الدنيا؛ غير أن الجزء الأسفل من مناظره قد هشم في المصور الذي بين أيدينا، والجزء الأعلى يحتوي على صورة قرد ضخم أحمر الوجه وخلفه يشاهد صورة آدمي يظهر كأنه جالس على الأرض.

بعد ذلك ننتقل إلى جزء آخر مؤلف من قسمين؛ وضع أحدهما فوق الآخر، أعلاهما يمثل مبنى طويلًا مقسمًا عدة أقسام، فنجد في بدايته جدارًا من الخشب الأحمر يفصله أفقيًّا عن الجزء الأسفل حاجز من نار، وخلف الحاجز الأحمر فاصل أصفر ففاصل أسود، ثم آخر أصفر، ويلي ذلك باب ناري يدور على عقب أسود، ثم يصادف الراحل

مساحة ملونة باللون الأصفر ومقسمة عموديًّا تسعة أقسام، وفي نهاية ذلك يصادفنا حارس في صورة إنسان عادي، غير أن رأسه قد مُحي، وهو يضع إحدى يديه على آخر جزء من القسم الأصفر الذي وصفناه الآن، ويده الأخرى على مصراع الباب التالي الذي يشاهد خلفه وهو من نار أيضًا، ويعقب ذلك فجوة في التصميم قد زال كل ما عليها من صور ورسوم، وبعد هذه الفجوة يشاهد بناء منحدر قد جثم فوقه صقر أزرق اللون يظهر أنه الإله «سكر» رب «روستاو» (أي صقر «روستاو» وهو إله الموتى في «جبانة منف»؛ أي صورة من صور «أوزير»)، ويُظن أن هذا البناء الذي على هيئة قصر يمثل نهاية المطاف ويعدُّ «روستاو»، وأن القرد الذي يمثل مكانة بارزة في هذه المتون يمثل الإله «تحوت»، كما أن الصقر يمثل «سكر»، وهو مظهر من مظاهر «أوزير».

أما الجزء الأسفل من هذا القسم فقد هشم معظمه؛ اللهم إلا الجزء النهائي فقد حفظ لنا منظرًا يشاهد فيه الراحل متجهًا نحو باب، وهذه أول مرة يشاهد فيها المُتوفَّى مرسومًا في «كتاب الطريقين».

المتن الخاص بهذا القسم كما وجد على تابوت القاهرة

ومما يؤسف له جد الأسف أن المتن الخاص بهذا الجزء وُجد مهشمًا تمامًا في النسخة التي ندرسها (انظر شكل ١)، غير أنه أمكننا أن نستبدل به متنًا مقابلًا له على تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٥، وهذا المتن يتفق بعضه مع متن تابوت «برلين»، ففي القسم الذي فيه الشرفة والقرد والإنسان نجد المتن التالي:[٩]

> (٦٧) إنه جدار من الخشب وإني أفتح الطريق إلى «روستاو» وإني أخفف آلام «أوزير»، وإني أنا الراحل الذي ينتج ما يوجد، والذي يتعرف على عرشه، والذي يمهد طريقه في الوادي العظيم؛ وإني مهدت الطريق، وحافظت على النور البهي (نور الشمس)؛ لأجل أن أمرُّ به، هذا هو ما تقوله بسبب ظلمة الليل، وإن كل روح منعم سيعرفها (التعويذة) فإنها تعيش بين الأحياء، وستحفظ النار جسم «أوزير»؛ وكل إنسان يعرفها (أي التعويذة) لن يسقط

[٩] الأرقام التالية تشير إلى تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٥.

أبدًا في «روستاو»؛ ومكانه الخفي هو «روستاو» منذ أن عرف أنه قد أنزل فيها على جبله الرملي، وستكون له الكلمة التي أعطيت في «روستاو» (وفي رواية أخرى: إنه هو الذي جعل نفسه ينزل فيها على جبله الرملي، وأنه صاحب «العرابة المدفونة» التي فيها بقايا «أوزير» سيد «روستاو».)

«وجبل الرمل» المذكور هنا هو أحد مميزات «روستاو»، كما جاء ذكر ذلك في متون الأهرام وفي كتاب «ما يوجد في عالم الآخرة»؛ إذ المفهوم أن الرمال تحفظ الأجسام من البلى ولذا كانت الأجسام تُدفن في الرمل.

ويتلو هذا المتن آخر وجد كذلك على تابوت «برلين» وهو (٦٨): «كل إنسان سيعرفها (التعويذة) لن يسقط أبدًا؛ وذلك لأنه يعرف تعويذة المرور على الجن الذين رءوسهم منكبة على أحجارهم، وهم أربعة الحراس للأبواب الأربعة، والراحل هذا هو صاحب الاسم العظيم يخلق النور، ويأتي لك «يا أوزير»، وإنه يمجدك ويساعد الذين جمعوا له مادة جسمه، (أو الذين طهروا مادة جسمه).»

ومما يلاحظ في هذا المتن أن الراحل يدعي أنه يخلق النور في الظلام، وهذه فكرة موجودة منذ متون الأهرام.

ثم يتلو علينا الراحل بعد ذلك تعويذة طويلة يحتمل أنه كان يلقيها عند الاقتراب من باب النار المزدوج وهي (٧٢-٧٣) إنها طريق «تحوت» هذا صاحب بيت الصدق: مرحبًا بك يا «تحوت» يا من مع أتباع «رع»، إن هذا الراحل قد أحضر العين السليمة ثانية، وإنها للامعة، وإن الراحل هذا قد أقصى عنها المرض، وبذلك هي لامعة. تأمل! إن الراحل يأتي إليك مع أتباعك الليليين بين أولئك الذين يقدِّمون القربان، وإن الراحل قد نزل سفينتك يا «رع»، وإن ماء الراحل في النار التي تضيء الظلمة بين أولئك الذين يأتون بالقربان التي تجلب «لماعت» (العدالة) عندما تخترق بحيرتها، وإن الراحل يسمع كلام الثعبان «هيو» المشرف على الحي العظيم الشمالي (من السماء)، وإن الراحل هذا يسرع الخطى ليحمي «رع» من غضب الثعبان «أبو فيس» (عدو «رع» أثناء رحلته الليلية).

ففي هذه التعويذة نجد أن المتن قد صُبغ بصبغة العقيدة الشمسية؛ أي مذهب ديانة الإله «رع»، وكذلك وجه الكلام فيها للإله «تحوت»، وقد ادعى فيها الراحل أنه قد أعاد عين الإله (أي القمر) إلى حالتها الأولى من الصحة بعد أن كان «ست» قد اقتلعها من «حور». وكذلك يلاحظ أن الراحل كان يتبع «تحوت» الذي كان يمثل هنا «القمر» في

عالم الظلام. أما الجزء الثاني فشمسي الصبغة، ويشير إلى أن المُتوفَّ يسبح مع الشمس في سفينتها، ويظهر أن له ضلعًا في المحافظة على الإله «رع» من هجمات الثعبان «أبو فيس» الذي كان يعتبر أكبر عدو خطر لإله الشمس خلال رحلته في عالم الآخرة السماوية (أي في المخاطرات التي كان لا بد أن يقابلها هذا الإله كما جاء في الأساطير أثناء سياحته السفلية)، وفي هذه الحالة كان الراحل يوحد نفسه بالإله «حور الأكبر» الذي يقوم غالبًا بهذا الدور في سفينة الشمس كما كان يقوم به «ست» أحيانًا.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن هذه المجموعة من المتون موجودة في تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٩، ولكن في غير المكان الذي وجدت فيه على المصور في متون تابوت ٢٨٠٨٣، هذا فضلًا عن أن الأولى أطول ولكن تدل على نفس المعنى الذي في الثانية وهي: أنها طريق «تحوت» إلى بيت الصدق، وإني من أتباع «تحوت» ليلًا في وقت تخبئتهم، دعني أحضر «تحوت»، وإني أنا الذي فتحت العالم السفلي (دوات) إلى «رع»، وإني أنا الذي أرفع رأسك وأجدف في سفينتك، وإني أمهد طريقك في السماء، وإني أنزل في مكان سفينتك التي أحملك فيها ليلًا، وإني قابع في جهة مياه «وعرت» (مكان في السماء)، وإني أنا الذي مهدت الطريق ... والإله «حتبي» قد أعد الطريق، وإني قد أقصيت مرض العين من وجه رب الخلق، وإني شفيت بالبصق جراح «رع» وبذلك سيعيش عيشة راضية؛ وإني أعرف الثعبان «أبو فيس» وأتباعه. مرحبًا بك يا «تحوت» الذي بين أتباع «رع»، إني أنا الذي أحضرت العين السليمة فهي براقة، وإني أنا الذي أقصيت الظلمة عن العين المتعبة، وبذلك أصبحت براقة ثانية. تأمل! لقد أتيت إليك بين أتباعك هؤلاء مع أولئك الذين أحضروا القربان، ولقد نزلت في سفينة «رع»، ولقد أطفأت النار بالماء وكشفت الظلمة عن أولئك الذين حضروا بالقربان التي جلبت لماعت (العدالة) المسافرة بالماء، ولقد سمع «رع» صوت الثعبان «هيو» في الإقليم الشمالي العظيم من السماء ... وإني أنا مخلِّص «رع» من غضب الثعبان «أبو فيس»، وأنه لن يضع في أغلاله، وإني أنا الكائن «شد حرو» الذي يشفي الجروح، ويخدم باب المعبد ويلبس الإله ما حيك له. دعني أحضر إليك يا «تحوت»، وإني لن أطرد من جوارك خلال الليل، فإني أنا الذي أحضرت العين السليمة (أي القمر)، والذي خلصها ممن ألحق بها الأذى، وهذا هو خلاص بيت القمر (أي تحوت).

ومن المحتمل أن بيت «تحوت» المشار إليه هنا هو القصر الذي أقيم على هيئة قبة في مصور تابوت رقم ٢٨٠٨٣، ويلاحظ أنه قد صور في أعلى صف في هذا المصور في داخل

مبنى يحتوي على سلسلة من الحجرات الضيقة والأبواب النارية، وكذلك نرى أن بداية هذا القسم هو حاجز من النار. ولدينا متن في تابوت «برلين» يفسر لنا معناه، وهو: «إنه جدار من الخشب الأحمر أفتح به الطريق إلى «روستاو».»

والظاهر أن مجموعة التعاويذ الأخيرة التي على تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٥ وهي التي تكلمنا عنها قريبًا يجب أن تتخذ مكانتها في الصف الأعلى كما يجب أن تكون هي نهايته؛ ولكن إذا أنعمنا النظر نجد أن الأمر على خلاف ذلك؛ إذ الواقع أن المتون التي درسناها حتى الآن خلافًا للمقدمة كان معظمها متونًا خاصة بعالم «روستاو» في حين أننا نلاحظ في المتون النهائية التي في الصف الأعلى في كل مصورات التوابيت التي فحصناها أن ذكر «روستاو» قد اختفى، وأن المتون التي لدينا فيها هي في الواقع مقدمة لموضوع آخر؛ وأعني بذلك رواية أشمونية، أو بعبارة أخرى مذهب العقيدة القمرية التي تتمثل في معبود «الأشمونين» وهي خاصة بسياحة الشمس في سفينة الليل الذي يلعب فيه الإله «تحوت» إله القمر دورًا هامًّا. وحقيقة الأمر على ما يظهر أن المتون الخاصة «بروستاو» قد انتهت بالتعويذتين رقم ٦٩، ٧٠ من التابوت رقم ٢٨٠٨٥ وهما اللتان تحملان العنوان التالي: فصل الاستقرار في «روستاو»، وهذا يدل على أن الراحل قد وصل فعلًا إلى «روستاو» حيث يسكن الإله «أوزير»، وهنا يخلق الإله نورًا ليضيء الظلمة، وعلى ذلك يجب أن نعتبر هذا الجزء من المصور المحاط ببرج عالٍ يمثل «روستاو»؛ إذ الواقع أننا لا نجد بعد ذلك ذكر الاسم «روستاو» في كتاب الطريقين. والظاهر من المتون أن الصف الأعلى من المصور يمثل الطريقين اللذين يؤديان إلى «روستاو» وهو كما ذكرنا عالم «أوزير» السفلي؛ وهو مكان مظلم يشبه القبر، ويحتمل أنه الهدف النهائي الذي يستقر فيه جسم المتوفى، ومن ثم نعلم أن السياحة إلى «روستاو» هي للجسم فقط، وبعد ذلك تستمر الروح في سياحتها في عالم الآخرة مع إله الشمس حتى تظهر ثانية مع إله الشمس «رع» في الشرق يوميًّا. ولا أدل على صحة ذلك من التفسير الشافي الذي نجده في مقبرة «سيتي الأول» الرمزية المقامة في «العرابة المدفونة» (Frankfort, "The Cenotaph of Seti I at Abydos" Vol. I, PP. 37, 38).

وقبل أن ننتقل إلى الصف الأسفل من المصور نذكر هنا متنًا جاء على مصور تابوت برلين ولم نجد له مثيلًا في متون توابيت القاهرة، في المكان المقابل للشرفة، هو:

> أما فيما يخص أي رجل هناك فإنه سيرى «أوزير» كل يوم وسيكون الهواء في أنفه، ولن يموت أبدًا ما دام يعرف تعويذة المرور عليها (أي الطريق).

وكذلك نجد عند النقطة المقابلة لمنظر القصر على «تابوت القاهرة» أن بعض عبارات الفصل الخامس عشر من متون تابوت «برلين» موحدة مع متن تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٥ (٦٩–٧٠) وسنذكر هنا بقية متن تابوت «برلين» لأهميته، وها هو ذا:

دعني أمرُّ في سلام ... أوزير مار بكل الأبواب، إني أقف منتصبًا، وقد جعلت اسمي في «روستاو» منذ عرفت أني قد ثويت فيها.

مرحبًا بك «يا أوزير» – مرحبًا بك «يا أوزير»، إني أرفع بقوتك وبسلطانك حسب المحاكمة، وإنك قوي في «روستاو»، وإنك مهيمن في «العرابة المدفونة» عندما تجول فيها، ووجهك لسماء «رع»، وكل الناس قد رأوك، إنك الواحد الذي يناديك «رع» عندما ينزل إلى السماء «السفلى» ويسبح فيها إلى الأفق «الشرقي ثانية»، وإني أقول مثل «أوزير»: إني الراحل، هذا الإنسان الروحاني، الشريف القوى، وإني أتكلم بما يحدث مثل ما يقوله هو، ولن أبعد من أمامك «يا أوزير» يا من قد قدِّم له القربان أمس، وإني قد أتيت بنفسي اليوم، وقد مهدت طريقي، وإني أفرح وأسير في صورة «أنوبيس» (إله الموتى)، وإني أنا الراحل «شاد النواصي» الذي يخرج من الأفق، وإني أنا الراحل، وإني أنا «نونت» هذه التي تأتي من صولجانها، وإني ذلك الراحل صاحب التاج العظيم، وإني أنا الراحل الثالث للإله «حقا»؛ لأنتقم للإلهة «ماعت» (العدالة)، وإني أنا الراحل الذي أنتقم لعينه، وإني أنا الذي ثويت أمس وبُعثت اليوم، وإني قد مهدت طريقي، أما حارس الباب الذي أحاربه في الطريق بقوَّة عندما أخرج مثل «رع» ضد أعدائي فقد ظفرت به، وقد جعلني لا أدعه ينجو من أمامي عندما سمعت أمام مجلس القضاة الذي وضعني على الطريق الرئيسية، وصولجان الإله كان بين مخالبي التي هي مخالب أسد، وهي ملك كفي الذي يشبه كف التمساح، وإني قد هيأت طريقي التي أحضرت عليها أعدائي، وإني أنا الراحل، وإني «أوزير» صاحب المكان الخفي، والذي على رأس أهل الغرب (الأموات)، عندما وضعت على رأس الأربعة (؟)، وإني أنا الراحل، وإني سيد الدم في أيام الظهور، وإني سيد الأقوياء (حراس الأبواب)؛ وإني لم أسرق، وإني قد مهدت طريقي التي أمام المعبد، وأملك أكفاني من الكتان العجيب (؟)، وهي التي قد أُحضرت لي مع التاج الأحمر العظيم، وهو الذي أُعطِيته حتى أتمكن من الظهور به في هذا اليوم على أعدائي، ولقد أُحضر لي لأكون قويًّا به.»

إيضاح: «هذا الكتاب كان تحت جنب «تحوت» لقد انتهى.»

وبعد هذا الفصل نجد في نفس تابوت «برلين» أن الفصل السادس عشر يتلوه مباشرة وليس يفصله عن السابق إلا شريط رفيع جدًّا، وقد ذكرنا فيما سبق جزء ١ منه وهاك ما تبقى: «إني ... إلى السماء والأرض، وإني هذا الراحل القوي في قلبه، وإني أملك إله القطيع، وإني أملك الآلهة الخمسة أرباب القطيع، وإني أنا ذلك المخصب أحمل بذرتي جاعلًا هذا وذاك خصبًا.»

شرح: إن كل إنسان يعرف هذه التعويذة سيكون خصبًا على هذه الأرض ليلًا ونهارًا، وسيكون قلب زوجه ملكًا له ما دام يريد أن ينكحها. وهذه التعويذة يجب أن تُتلى على سوار من الجمشت يضعه المُتوفَّى على ذراعه اليمنى، ثم يستمرّ المتن فيقول: «إن تاج «رع» فاخر على رأس «ماعت» (العدالة) كل يوم، وإنه يلبس التاج العظيم الكبير في حين أني سليم عندما أكون محميًّا ضد كل شر يخرج من فم كل إلهة، وإني أنعم تلك الزوجة المتوفاة، ولن يكون في أول هذه السنة في هذا اليوم الجميل الخاص بمعبد «تننت»[١٠] (أوزير) هناك شر في هذا اليوم الجميل في معبد «تننت» لأجل عيد «نحب كاو» (إله القربان)، (وهو عيد يقام في أول يوم من رأس السنة)، في اليوم الجميل الخاص بمعبد «تننت»، وهو الذي يكون فيه الأربعة الذين يحضرون القربان، ويأتون بالقربان من «عين شمس» على مائدة قربان كل يوم؛ حبًّا في «رع» يوميًّا، وإني أنا الخارج من الأفق، وقرباني في الأمام، وقرباني في الأمام، وقرباني يأتي في المقدمة، وقرباني يأتي في المقدمة، وقد وضعت في الأمام، وإني أنا المقدم، وإني أنا الذي خرج من الكرنالين (الأحمر)؛ أي نذير الشر، والإله الأعظم يُقاد أمامي ... وإني ثور القربان المشرف على الأشياء (الطعام) في ... صاحب الوجبات على الأرض مع «حور» والوجبات على الأرض مع الإله «مين»، وإني أجعل القربان تقدَّم لي، وإني أذهب وحدي، وعندما أجلس لآكل الخبز فإن «رع» يجلس لأكل الخبز، ويجب إعطائي الماء على يد «إزيس» عندما يقف الفيضان على شاطئ «أجب» (الفيضان الأبدي)، وإني أقترب منك يا ساقي «رع» وإني أنا بجوارك، وإنك تبهج وجه «رع»، وإن وجه «إزيس» يشع لك، وإنك تعطيني خبزًا عندما آتي جائعًا، وإنك تهبني جعة عندما أكون عطشان، وإني الإله «مخنتي إرتي» ... وإني آكل الشعير الذي في الحقل، وإني أحافظ على القربان الذي على شاطئ الإله ...»

[١٠] معبد في «منف» للإله «بتاح» أو «أوزير».

القسم الأسفل من مصور كتاب الطريقين

يظهر أن هذا القسم من المصور قد سُجل عليه كما سبق سياحة سفينة الشمس الليلية في العالم السفلي حاملة روح المتوفى، ولما كان متن تابوت القاهرة رقم ٢٨٠٨٣ مهشمًا فقد استعضنا عنه متن التابوت رقم ٢٧٠٨٥، وهو يتفق تمام الاتفاق مع سابقه من حيث الرسم.[١١]

والرسم الأول الذي في بداية هذا القسم يدل على أنه يمثل غروب الشمس؛ إذ نجد في الجزء الأعلى منه جعرانًا في سفينة (شكل ١)، ويلوح أنه يتسلم بيديه قرص الشمس الملون باللون الأصفر من سماء زرقاء نُصبت فوقه، أما السفينة التي يقف فيها هذا

[١١] لقد ضربنا صفحًا هنا عن شرح القسم المقابل لهذا في مصور تابوت «برلين»؛ وذلك لأنه ليس لدينا إلا نسخة واحدة منه مما جعل فهمه غاية في الصعوبة، وبخاصة أنه يحتوي على فجوات وتهشيم في المتن، والواقع أنه يوجد تشابه كبير بينه وبين مصورات القاهرة من حيث الرسم، أما من حيث المتن فإنه يشتمل على عشرة فصول يتكلم فيها الراحل عن العقبات التي كان يقابلها والحراس الذين كانوا يعترضونه في طريقه، وكيف كان يتغلب عليها بالتعاويذ السحرية، وبخاصة أنه كان يخبر هؤلاء الحراس المخيفين أنه قد زار الأماكن المقدسة التي كان لزامًا عليه أن يزورها جثمانه قبل أن يذهب إلى عالم الآخرة، فيخبرنا أنه قد زار «عين شمس» و«بوتو» و«خرعحا» (مصر العتيقة) و«العرابة» وبلد العجل «أبيس» وغيرها من الأماكن المقدسة. ونلحظ في الفصل الثاني أن الراحل يهدد الحراس بأنه رب الظلام، وأنه صاحب سلطان، وأنه أتى اليوم من «عين شمس» مقر حقول القربان، وموطن عبادة «رع»، وأنه هو نفسه «ثور عين شمس»؛ أي الإله «رع». ثم يعدد بعد ذلك الأماكن المقدسة التي زارها في الفصول التالية، وكذلك يخبر الحراس في الفصل الثالث أنه أتى بموائد قربان مفعمة بالخيرات، وأنه الإله «حو» إله الأمر والنهي الذي يصحب الإله «رع» في سفينته، وأنه يمكنه أن يمر في طريقه بمجرد ذكر اسمه، وإنه يمر في طريقه لأجل أن يصبح من المنعمين، ولا أحد يمكنه أن يعترضه في تلك الظلمة؛ لأنه رب الظلام وروحه، وكذلك نشاهد أنه يتقمص كل صور الإله «رع». وفي الفصل الخامس يخبر الراحل الحراس أنه موقد النار، وأنه الواحد العظيم الذي سجل اسمه في كتب الأبدية، وأنه السكين العظيمة المصنوعة من النار التي توضع في أم رأسه. وفي الفصل السادس يخبرنا أنه هو بارئ الإله «رع» نفسه، وكذلك الإله «شو» رب الفضاء وأنه الإلهة «ماعت» ربة العدالة التي تحلي التاج؛ ولذلك فإن كل من يقترب منه بسوء من هؤلاء الحراس فإنه يقصيه في الحال. وفي الفصل السادس نجد أسماء آلهة وشياطين يحتمل أنهم يعترضون طريق المتوفى. أما الفصل الثامن فيذكر لنا بعض أسماء الحراس. ويشتمل الفصل التاسع على تعويذة فيها يطلب إلى الآلهة الأربعة أن يجعلوه يمر على طريقه دون أن يصد عنه، ثم نجده يخبر الحراس بأنه واحد لا يراه من حوله. وفي الفصل العاشر نجد تعليمات عن المكان الذي سيأوي إليه لينام فيه بعد أن ينتهي من قطع طريقه إلى عالم الآخرة.

الجعران فتمثل الثعبان «محن». ولا غرابة في ذلك؛ إذ نجد في القسم العاشر من «كتاب البوابات» أن الثعبان «محن» يظهر في صورة سفينة ينتهي كل من طرفيها بثلاثة رءوس ثعابين منتصبة، وفي الوسط يقف إله له رأسان واحد منهما يمثل رأس الإله «حور» والثاني يمثل رأس الإله «ست»، وقد فسر هذا المنظر كالآتي: «هذا هو الثعبان «محن» ذو الصلين، وهو الذي يمشي فرحًا في العالم السفلي، وقد شدت الأقواس ليحمل عليها صاحب الوجهين «حور» و«ست» في خفائه الخاص بهما.»

أما ما جاء في وصف «محن» في متن الطريقين في مصورنا تفسيرًا للسفينة فهو:

> إن «محن» هو الذي في داخلها (السفينة)، وإن «أوزير» هو الذي أحضره إلى «حور» الكبير، وإن «رع» هو الذي صنعها (السفينة) لأجل أن يقضي على أي فرد ضده في الأفق عندما تكون حاشية الأفق مقسمة (قسمين من الملاحين)، وذلك عندما يحضرون عظيمهم «رع»؛ لأن ما ينطق به موجود في الآلهة الذين تتألف منهم الحاشية، وهم من المواطنين، والذين سمحت لهم أن يذهبوا إلى سماء «رع» (وهذه السماء كانت من قبل وقفًا على الملوك) ويضيئون فيها ليلًا. وكل إنسان بين أتباعه سيعيش إلى الأبد في ركاب «تحوت» الذي منح قوة الإضاءة ليلًا؛ وجعل قلب «أوزير» فرحًا؛ لأنه أحد الذين يرافقونه، وقد وضع بين أتباعه مثل رجال الحاشية.

ومن أمتع ما جاء في هذا المتن أنه ينتظم عدة آراء ترجع إلى متون قديمة وأخرى ظهرت في العصر الذي نحن بصدده، فمثلًا نجد الثعبان «محن» لم يأتِ ذكره في متون الأهرام، وقد صور هنا في صورة صل له رأسان في نهايتي جسمه الذي شُكل بصورة سفينة، وسنرى فيما بعد أنه سيحل محل رأس إله وذراعيه؛ وكذلك نجد في «كتاب ما يوجد في العالم السفلي» أنه سيظهر بوصفه حامي الإله «رع»؛ لأنه يشكل جسمه بطريقة تجعله يحل محل الناووس الذي يقف فيه الإله في سفينة الشمس، وقد كان لا يوجد إلا في سفينة الليل فقط؛ إذ إن ظهوره في الصف الأسفل من المصور يبرهن على أن البحث هنا ينحصر في السياحة الليلية لإله الشمس «رع». ومما يلفت النظر في هذا المتن كذلك ما جاء فيه من أن القوم (الناس) سيسمح لهم بالذهاب إلى سماء «رع» ويضيئون هناك ليلًا، وهذا القول بلا نزاع إشارة إلى الاعتقاد القديم الخاص بالعقيدة النجمية، وهي التي كانت حتى ذلك العهد وقفًا على المتوفين من الملوك؛ أي إن الملك كان يصبح

نجمًا بعد أن يرتفع إلى السماء، ولكن أصبح الآن هذا الحق مشاعًا لعامة الشعب كما أصبح المصير الشمسي حقًّا لهم. ولا أدل على أن هذا الحق المكتسب كانت لا تزال ذكراه قوية في أذهان الكُتاب الدينيين مما جاء في هذا المتن مشيرًا إلى أن المُتوفَّ كان ذاهبًا إلى سماء «رع» مع أنه في السطر التالي لهذه الفكرة نجد أن الإله الرئيسي المشار إليه هو «تحوت» الذي يضيء كذلك ليلًا ويشرح قلب «أوزير» (المُتوفَّ). وقد احتفظ عامة الشعب بما نالوه من حق التمتع بالآخرة النجمية؛ ولذلك لم يعد الملك وحده يتمتع بهذا الحق ويفتخر بأنه سيصير نجمًا لا يأفل، بل نجد أنه حتى الموظف المشرف على البيت كان ينعم بمثل هذا الحق.

ونجد أسفل هذا المتن الافتتاحي في مصورنا (شكل ١) رسمًا آخر يظهر أنه يمثل سفينة الشمس وهي تسبح في سماء صافية الأديم، في وسطها إله أحمر الجسم جالس في الفضاء؛ مُثِّل رأسه بجعران كما مُثل ذراعاه بثعبانين، هذا فضلًا عن وجود صلين متدليين من ذراعيه. وقد انتشرت فوق هذه السفينة سماء صافية في وسطها قرص الشمس. ويلاحظ في هذا الرسم أن قدم هذا الإله ترتكز على ثعبان ينتهي طرفاه برأسي صلين منتصبين، أما المتن الخاص بهذه المجموعة فهو (٣): إن «أوزير» الراحل يتبع «رع» الذي يضيء السماء، وإني قابع في محرابي مثل «حور» صاحب المهد المرفوع، وإن مكانه القريب من محرابه قد أُخفي، وإن الإله يفتحه لمن يريد «يا أوزير» الذي تحييه الإلهة «ماعت» (إلهة العدل) وترشده، وإن ما يهلع منه «أوزير» الراحل هو السحاب الذي يأتي بالمطر إلى جانبه (وذلك لأن المُتوفَّ كان دائمًا يخاف الماء الذي كان يطغى على المومية ويتلفها؛ ولهذا كان المصري يدفن موتاه في الأماكن الصحراوية، هذا فضلًا عن أن «أوزير» قد مات غرقًا كما جاء في إحدى الروايات عن سببه وفاته).

وإني «أوزير» الراحل ولن يبعد عن «رع» ولن يصد؛ وذلك لأنه نشط بيديه المتمرنتين، وإن «أوزير» الراحل لن يسير إلى وادي الظلام،[١٢] وإن «أوزير» لن يدخل بحيرة المجرمين (أي بحيرة النار)، وإن «أوزير» لا يقفز ليكون في قبضة القدر، وإن «أوزير» الراحل لن يقع بين أولئك الذين يحبسون الأرواح، أو يخرج أمام أولئك الذين يجرونه خلف مقصلة الذبح التي هي ملك الإله «سبدو»، السلام عليكم يا من رءوسهم

[١٢] كان المفروض أن الشمس تعمل رحلتها في العالم السفلي المظلم لتضيء لسكانه وهم الأموات.

منكبة في أحجارهم، إن السيف الإلهي مخبأ في يدي الإله «جب» (إله الأرض) وقت الصباح؛ وذلك لأنه يُسر عندما يحضر لنفسه كلا من المسن والشاب في حينه (الإله جب هنا يمثل القبر الذي يدفن فيه أي ميت)، والآن تأمل! إن «تحوت» على علم بخفايا أسراره، وإنه يقوم بالتطهير وبحساب لا نهاية له، مخترقًا السماء (لأنه القمر) ومبدِّدًا العواصف التي حوله، وبذلك أصبح في مقدور «أوزير» الراحل أن يصل إلى كل أماكنه (في عالم الآخرة)، وإني سويت عصاي وتسلمت قربان «رع» صاحب السير السريع، والجميل الطلعة، والمسيطر بما فعل، وإنه قد وضع حدًّا لآلامه ومتاعبه، وكذلك فإن «أوزير» الراحل قد وضع حدًّا لآلامه؛ وفي الحق أنه يدخل البِشر على وجه «تحوت» («أو «رع»)، وذلك بعبادة «رع»[١٣] و«أوزير».

إن «أوزير» الراحل قد دخل أفق «رع» وساح مظفرًا ومضيئًا وجه «تحوت» (ولدينا في هذه العبارة برهان على أن القمر كان في اعتقاد المصريين يأخذ نوره من الشمس)؛ لأجل أن يصغي إلى «رع» ويقضي على العقبات التي تعترضه في طريقه.

لا تدع «أوزير» الراحل يغرق في سياحته على يد من وجهه في حجره، (اسم إله)؛ وذلك لأن اسم «رع» في جوف «أوزير» الراحل، (أي إن المُتوفَّ يدَّعي هنا إنه يعرف الاسم السري للإله «رع»؛ وهو الاسم الذي كان يعرفه الإله وحده، ولكن «إزيس» انتزعته منه بحيلة (راجع «كتاب الأدب المصري القديم» ص١١٣)»، وشرفه في فمه، وهو الذي يتكلم لمن يصغي إلى كلماته، الفخار لك يا «رع» يا رب الأفق: سلام عليك يا من تطهر المنعمين، ويا من تقرر ضد القدر، إن قيادة السفينة خالية من كل سوء. تأمل! ها هو ذا «أوزير» الراحل (أي إنه قد وصل إلى نهاية المطاف).

وبعد هذا المتن الطويل يسير الراحل نحو بناء مقسم أربعة أقسام لكل واحد منها باب خاص مستطيل الشكل، وهذه الأبواب رسمت في مصور برلين، لكل منها مصراعان لونهما أحمر، وكتب عليها كلمة «نار». ويمتاز المصور الذي نبحثه الآن بأن لكل باب حارسًا خاصًّا من الجن قد هشموا كلهم أو مُحوا. ونجد منقوشًا عند قمة الباب الأول ما يأتي (٤): «إن الذي يبسط جزءه الأمامي هو حارس الباب الخلفي»، والواقع أن

[١٣] ومن ثم نعرف السبب الذي من أجله قد اجتمعت المتون الشمسية والأوزيرية والأشمونية في هذا الكتاب؛ إذ نجد هنا أن عبادة «رع» و«أوزير» قد سرت «تحوت» الذي كان بطبيعة الحال متصلًا بهذين الإلهين في كثير من الأحوال، وبخاصة في رحلة المُتوفَّ ليلًا في سفينته.

الحارس الذي قد أشير إليه في هذا المتن يمد رأسه إلى الأمام في المصور، وفي أسفل هذا الباب دون المتن التالي (٨): «إن الراحل هذا قد أتى اليوم بسكين عظيم، وقد سلَّح نفسه بسيف طرفه قاطع في الحال دون أن يصد، وإنه يصد الشرور الأربعة (يقصد بها هنا الحراس الأربعة)، دون أن يصدوه عندما يعترضونه، وإن من يبسط وجهه قد حمل هناك، ولن يحدث ظلمة بين القوم المنعمين أتباع «رع»، وإنه يخلي سبيل الإله، وإذا أتيت في صورة «حف آن» رب الموت، فإن «رع» يذبحك في الحال كما قرب «أبو فيس» (عدو رع) في داخل مكان المذبحة.» وهذه التعويذة كانت موجهة طبعًا إلى حارس الباب الأول. أما الباب الثاني فقد نقش عليه ما يأتي (٥): «إن «آنتي» هو حارس الباب الثاني»، أما التعويذة التي كانت تتلى أمام هذا الباب فهي (٩): (Lacau, Ibid, P. 214, No. 28083) «إن رأس فلان هذا قد أصبحت محمية بهم وإن «هيو» (اسم الثعبان) ... الذي يقف ليصدك عندما تقف السفينة على الماء الراكد، وإنك أنت الذي ميزته (؟) وقد أمر الإله «رع» بأنك لن تسير ضد أتباعه. ولديك البطش أمامك ... تقهقر إلى مكانك ولا تأتِ! وإنه هو الذي يراك كالتمساح باسم «الآتية عظيمة» (اسم للإلهة حتحور (؟)).

أما اسم حارس الباب الثالث فإنه يحمل الاسم القبيح (٥): «الآكل براز دبره»، ولا بد للراحل من أن يتلو التعويذة التالية ليتخلص من شره (١٠): تقهقر أيها القبيح الذي يسكن المستنقع، إن ظهرك من الخشب الخشن؛ لأنك تبتلع بمثابة طعام نبات «ممت»، إن الراحل يعرفك ويعرف اسمك ... تقهقر واسجد، ودع ذراعيك يسقطان، وبذلك يظهر نور الشمس ليلًا عندما يكون روحه في السماء، وتبعد الظلمة عن الوجه (الوجه هنا هو السماء).» وهذه التعويذة موجهة للتمساح غير أننا لا نعرف إذا كان حارس الباب قد مثل في صورة هذا الحيوان أم لا.

أما اسم حارس الباب الرابع فقد هشم المتن الخاص به وما تبقى منه هو (٧): «... هو حارس الباب الرابع»، ويدل ما بقي من رسمه على أنه كان في صورة حيوان، والتعويذة التي كان يتلوها الراحل عند الاقتراب منه هي (١١): «يا «شو» ويا «روتي»، إن «شو» في السماء و«روتي» في الأرض (روتي يقصد به الإلهة «تفنوت»)، إن الراحل هذا يخاطبك لتفصل السماء عن الأرض، اسجد تقهقر ... إنها تبعث الخوف، وإن الممقوت الوجه يرتعد خلف الإله المقدس الذي يعلن إعداد السفينة التي تقوم بالسياحة العظمى (أي سفينة الشمس التي تسبح كل يوم من الغرب إلى الشرق)، وإن شرفه قد فُصل فيه، وقد أمر «تحوت» أن يصلح من شأن السفينة المكسورة في الصباح المبكر، فإذا أتيت

فإنك ستصد على يد الراحل هذا، وإن الراحل هذا يأتي فرحًا معلنًا صور «رع» الأربع عندما ولد «حور» بكر أولاد «رع»، ويقوم بدورته السماوية. وكذلك يرى الراحل بين أولئك المجدفين (الذين يجدفون في سفينة الشمس).»

فيشاهد في هذا المتن رغم ما فيه من الإبهام أن المُتوفَّ يدَّعي لنفسه مكانة بين المجدفين في سفينة الشمس؛ أي إنه يوحد نفسه بالنجوم الثابتة، وهي التي نعلم أنها تُسير سفينة الليل.

بعد ذلك نجد الراحل يقترب من جدار سميك فيه ثلاثة أبواب من نار، ولكن قبل أن يفتح أبوابه لا بد للراحل من تلاوة التعاويذ التالية (١٣): (Lacau, Ibid, P. 215, (12), No. 28083 (13)).

إن الراحل وهو «روتي» (إله الشمس) يأتي، والراحل هذا ينجي «ماعت» (العدالة)؛ والراحل هذا يمهد الطريق، ويتسلم التاج العظيم المزدوج الذي على رأس «رع»، و«أمراس» الراحل التي أحضرتها له، وقد مهدت الطريق التي يمر عليها الراحل، وإن العدالة هي دليلي خلال الليل على يد روح الظلام.»

ويتبع هذه التعويذة أخرى ((Lacau, Ibid, P. 215 (13) – No. 28083 (14) وهي (١٤): «إن الراحل يأتي إليك يا عظيم الكبراء بين أرواح الليل، وبين أربعة الآلهة السماوية، لقد خلصت الراحل هذا، أما إلهتا الصدق «إزيس ونفتيس» ...»

ففي هذه التعويذة نلحظ أن العدد أربعة قد احتل مكانة بارزة، وهو في هذه المرة يعبر عن أربعة الأرواح التي في السموات الأربع السالفة الذكر، وهذه الأرواح التي هي أشير إليها في كتاب «ما يوجد في العالم السفلي وهي «أوزير»، و«رع»، و«آتوم»، و«خبر رع».» ورغم أن المتن هنا مهشم فإنه يحتمل أن فيه إشارة إلى محاسبة يخلص المُتوفَّ منها العدالة المزدوجة، وهما «إزيس» و«نفتيس».

وفي داخل الباب نجد متنًا مهشمًا جاء فيه (١٥): «إنه يعيش على حراس الأبواب الأربعة الذين لا يريدون أن يخبروا كيفية المرور منها.»

«فصل للمرور منها (الطريق) على يد من هو في الأمام ولديه وقاية منه (الحارس) وإن الراحل هذا هو فرد يعرف السياحة التي يقوم بها نفسه (وذلك لأنه موحد بإله الشمس الذي يعمل السياحة الشمسية من الغرب إلى الشرق يوميًّا.» والسطر الممحو في بداية هذا المتن كان بطبيعة الحال يحتوي على اسم الحارس، وقد ذكر في الفصل ٤٤ من كتاب الموتى وهو: «الحارس المنكس الرأس (أي الذي يقف على رأسه) والمتعدد الصفات،

وهو حارس أول باب للإله «أوزير».» وقد مثل هذا الحارس في ورقة «نو»[١٤] بصورة إنسان، أما ورقة «آني»[١٥] فله رأس أرنب، وفي كلتا الورقتين يشغل وظيفة حارس الباب الأول، ويستدل من كتابة اسم هذا الحارس برسم رجل عاليه سافله، أن هذا الباب الذي يحرسه هو باب العالم السفلي الذي ينزل منه المُتوفَّ إلى الآخرة (أي إنه ينزل في العالم السفلي برأسه). والظاهر أن أول تعبير عن هذه الفكرة مصدره «كتاب الطريقين». والمتن السابق تعويذة من التعاويذ التي كان يهدد بها الأرواح، إذا تنحت عن مساعدة الراحل أو أحجمت عن إطاعته في تنفيذ ما يريد. والواقع أن مثل هذه المتون التي تنطوي ألفاظها على التهديد والوعيد ليست إلا متونًا سحرية، وهذا ما نراه في كل متون هذا الكتاب. ويشاهد بعد ذلك في المصور مساحة كبيرة مستطيلة تسبق بابًا ناريًّا يمتد في طول هذا القسم، ويشاهد أمام هذا الباب السالف الذكر ثلاثة حراس كل منهم في صورة طائر يقبض على شبه عصا معقوفة ملونة باللون الأحمر؛ والحارس الأول له رأس قط لونه أسود وجسمه أصفر، أما الحارس الثاني فقد مُحي رأسه، في حين أن الثالث قد مُحيت صورته تمامًا، ولم يبقَ ما يدل عليه إلا جزء من العصا المعقوفة التي كانت بيده. ويخاطب الراحل أولئك الحراس بالتعاويذ التالية (Lacau, Ibid, P. 210 (15–16), No 28083 (17–18)) «إن من يعيش على ... هو حارس الباب الأوسط، وإنه يعيش على من لا يعرف كيف يمشي إلى هذه السماء الخاصة «بحور» أكبر الثلاثة الذين صعدوا إلى سيده؛ حيث مثل من أصبح ديدانًا، وأنها تأكله؛ لأنه لا يعرف التعويذة الخاصة بالمرور منها (الأبواب)، وأن من كان في المقدمة لديه الوقاية من شر ذلك، وأن الراحل يوحد نفسه بالثعبان «محن» في مكان السياحة (أي في السفينة).»

ونعلم من مضمون هذه التعويذة أن حراس الأبواب سيعيشون على الأرواح الجاهلة التي لا تعرف كيف تسير على الطريق.

والحقيقة أن مثل هذه التعويذة، إن هي إلا إغراء بارع على حض الناس على شراء نسخة من «كتاب الطريقين» لتوضع معهم في القبر. هذا إلى أن ذكر «حور الأكبر» بوصفه أحد الثلاثة الذين صعدوا إلى سيدهم، مما يلفت النظر، ومن المحتمل أن هذا الثالوث مكوَّن من «حور» و«أوزير» و«تحوت» أما سيدهم فهو الإله «رع».

---

[١٤] Budge Book of the Dead (Text) Vol. II, P. 218.

[١٥] Budge Book of the Dead (Text) Vol. II, P. 218.

ويستمر المتن فيقول: «إن الذي يضع الرغفان بصوت عالٍ» هو اسم حارس الباب الثالث، وهو الثالث الذي قد صعد إلى سيده، والذي يعيش على لهيب كلمته، فصل المرور فيها بالذي كان قبله، وإن وقاية الراحل في هذا في يده ...»

وتستمر التعويذة على ما يظهر في داخل الباب؛ إذ جاء فيها: «افتح لمن يقصي ظلمة «رع» (الكسوف والعاصفة)، والذي يتسلح بسحر طيب شافٍ كل يوم، والذي يقصي بناره الظلمة و(؟)، إن الراحل هذا قد حضر إلى «رع» في سفينته، وأن الراحل هذا هو أحد الآلهة الذين في جانب السماء، وإنه يعلن ما في يومه فرحًا، وأنه لن يصدك عن السبيل.»

ومما يلاحظ هنا أن هذه التعويذة عندما أصبحت جزءًا من «كتاب الموتى» أخذت عنوانًا جديدًا يدل على أنها ترجع إلى أصل قمري، وهاك العنوان: «فصل آخر يُتلى عندما يجدِّد القمر نفسه عند أول يوم في الشهر»؛ في حين أن الشرح الذي جاء في نهاية الفصل يقول: «إذا علم هذا الفصل فإن من يعرفه سيكون روحًا ممتازًا في عالم الآخرة؛ ولن يموت ميتة ثانية في العالم السفلي، وسيأكل طعامه بجانب «أوزير» وإذا عرفت هذه التعويذة لفرد على الأرض، فإنه سيكون مثل «تحوت» (أي عاقلًا قويًّا) وسيعاد مع الأحياء ولن يقع (Budge, Text Vol. II, 179) فريسة لغضب الإلهة «باستت» الملكية «أكبر بنات الإله آتوم»، وإن الأميرة القوية «باستت» تجعله يخطو في سلام.»

أما المتن الأصلي فإنه لا يزال مستمر؛ إذ يقول (Lacau, Ibid, P. 216 (18) – No. 28083 (19)).

ارفع عاليًا وصعِّد فلانًا هذا، ارفع عاليًا فلانًا هذا؛ لأن «أبو فيس» يفزع منه منذ أن شفى الجروح الأربعة، وأن الراحل قد رئي يشفي الآلام ويخففها، وأن الراحل هذا لم يصد أمام «رع»، وأن «حور» الأكبر هو الذي في هذه السماء التي تعد سيدة كل السموات، وكل إنسان يعرف هذه التعويذة، وهو عظيم في صورته سيكون عظيمًا هناك، مرحِّبًا بك يا «رع»، فإن الراحل هذا عندما يرى حسنك فلن تصل الروح الخبيثة إلى حارسك.» وفي مصور التابوت رقم ٢٨٠٨٣ يستمر المتن قائلًا: «هذا هو مورد السماء التابع لمسكن الإله، وأنه قد أسس في السماء وبدايته في النار ونهايته في الظلمة.»

وإن من قرأ «متون الأهرام» وما جاء فيها عن جنة النعيم لا يسعه إلا أن يتصور أن هذه الصيحة قد أتت من حافة المياه السماوية؛ حيث يجد الإنسان المنعمين في جنة الخلد يشربون من رحيقها، إلى هذا المكان الذي هو الجحيم والظلمة التي فسرت كذلك بأنها توجد في السماء أيضًا!

ففي هذا المكان الذي نحن بصدده في المصور نرى سفينة عجيبة الصورة لا يمكن تعرف كنهها إلا بعد إعمال الفكر، وبخاصة عندما يشاهد المجاديف الأربعة الصغيرة الموضوعة على إحدى جانبيها، وكذلك يلاحظ أن مؤخرتها ومقدِّمتها تنتهي بصقر جاثم على سكين، ويشاهد في وسطها مومية جالسة على عرش، وهذه المومية لها رأس حيوان يعتقد البعض أنه رأس فأر أو ضفدعة، غير أن الأذنين القصيرتين المنفصلتين ليستا من خصائص هذين الحيوانين، بل تشبهان أذني القط. ويشاهد خلف العرش الذي في السفينة صل منتفخ الصدر، وهذه السفينة تسير على سماء صافية زرقاء، ويدل المتن المفسر لهذا المنظر أن السفينة تسبح في مكان روح منعم حقيقة، ولن ترسو قط على المرفأ (أي لن تموت قط). ومن ذلك نستخلص أن المُتوفَّ يعمل سياحة أبدية مع الشمس من الشرق إلى الغرب وبالعكس كل يوم في سفينة «رع» التي تقوم كل يوم بسياحة بالليل وأخرى بالنهار.

أما الإله الذي في السفينة فيقال عنه (٢٢–٢٥)، «ليس هناك إله يعرف أوله (أصله)»، وله أربعة رءوس كل منها لكائن ... وفي الجهة الأخرى من هذا النقش كتب «مكان الأرواح المنعمة»، وأخيرًا كتب «أنه هو الإله نفسه»، ومن كل هذا يمكن أن نستخلص أن الإله الذي في السفينة هو الإله «رع» بعينه رغم تمثيله بصورة غير مألوفة. ويشاهد تحت هذه السفينة مكان محاط بجدران سوداء يظهر أنها عماد ترتكز عليها، وقد ذكر لنا المتن (٢٦): «أنه مكان الروح الذي يعرف الموت في نار الليل، وروح الظلام الذي يعرف كيف يصعد إلى سماء «رع» وسماء «حور» الكبير الذي بين أتباع «رع»، وأن «حور» الكبير في سكينة في أفق «رع»، وأن «حور» الكبير هو عدالة الإله «رع».» والظاهر أن هذا المكان هو مأوى لهذه الأرواح التي رغم امتيازها كانت حتى الآن لا تعرف كيف يمكنها الاستمرار في طريقها إلى السماء التي يسكنها «رع» و«حور» الكبير صاحب عدالة «رع»، وذلك لخلوها من التعاويذ السحرية. فكان لا بد لكل من يريد الذهاب إلى الجنة من اصطحاب نسخة من هذا الكتاب، وهذا ما يقابل بالضبط «صكوك الغفران» في عهد القرون الوسطى في أوروبا التي كان ينشرها القساوسة بمثابة جواز لدخول الجنة. هذا ونجد قبل الصورة التالية متنًا، ورغم ما ينطوي عليه من غموض فإنه يحتوي على مادة شيقة وهو (٢٧)؛ ((Lacau, Ibid, P. 217 (27): «إن كل فرد يعرف التعويذة الشافية سينعم هناك مثل «أوزير»، وإنه سيتغلب على كل القضاة، وإنه سيحيا ما دام «تحوت» حيًّا؛ وذلك لأن «تحوت» سيكون في محكمة «أوزير»، وإذا تلاها

أي رجل عظيم على بحيرته التي يسير عليها إلى الغرب الجميل، أو إذا تلاها أي إنسان في مكان التحنيط عند بداية اليوم الثامن، وكان قد مضى عليه أربعة أيام وهو ميت، فإنها ستكون مفيدة له أكثر من أي شيء، ومن يرِد معرفة القيامة فلا بد من أن يقولها كل يوم بعد أن يدلِّك أعضاءه بعطور بنت من الأبكار لم تختَّن، وبرِيق رجل مسن لم يختن.» ولا شك أن المقصود هنا من البنت البكر والرجل المسن هو الجمع بين فتوة الشباب وطول العمر.

وبعد ذلك ننتقل إلى صورة من أعظم الصور المنطقية في كل صور هذا التابوت؛ إذ نجد مجرى ماء متعرج يلف حول سفينة كبيرة تنتهي كل من مقدمتها ومؤخرتها برأس إنسان ذي لحية، ويظهر أن هذه السفينة قد صُنعت من نار؛ لأن لونها أحمر، وقد شغل كل سطحها محراب ذو لون أصفر حمل سقفه على عمودين على هيئة ساق بشنين، وفي داخل المحراب يقف إله في صورة إنسان ذي لون أصفر، ومن المتن نفهم أنه الإله «أوزير». أما المتن الخاص بهذه السفينة فهو ما يأتي (٣٣): «ثابتة الحياة، هذا هو اسم هذه السفينة»، والظاهر أن كلًّا من الرأسين اللذين يمثلان مقدمة السفينة ومؤخرتها يمثل إلهًا، فالرأس الذي في المقدمة يُسمى (٣٢): «نحح» والذي في المؤخرة يسمى (٣٤) «سبا»، أما الإله الذي في وسط المحراب فقد قيل عنه إنه (٢٨): «أوزير» صاحب المعبد الأرضي للأرواح الأربعة.» ورغم أن الإله «ست» لم يُرسم في السفينة فإنه كان موجودًا فيها كما يدل على ذلك المتن الذي يقول (٢٩): «ست» صاحب الأرض ذات الأرواح الأربعة.»

ولدينا متن طويل فوق هذا المنظر جاء فيه ((Lacau, Ibid, P. 217, (30) «إن المخاطب هو «أوزير»، وإن الماء حوله، وهو يعيش من كلمته (السحرية)، حقًّا إن «أوزير» هو الذي يجعل الحقول الأربعة المروية مفيدة، والإله «ست» يرفع ذراعيه تعبدًا له، ولكل عضو من أعضائه في كل مكان يصل إليه، (أي إن الإله «حور» عندما تغلب على الإله «ست» قاتل والده وجعله يتعبد إليه) وإن أعضاءه هذه أصبحت مفعمة بقوته، مرحبًا بك يا «أوزير» الذي يملك معبده الخفي، ويا من أتعب «ست» الشرير قلبه (أي قتله)، إن قلبك ثابت، وهو مظفر في الحرب عندما يُقطِّع «ست» المشاغب إربًا إربًا. وإن الراحل هذا يقول: إن ما تتوق إليه نفسي هو دم قوي القلب (أي الإله «ست»)، وإن الراحل هذا يقدِّرك يا «أوزير»، ويجمع لك العظام الأربع السليمة الخاصة بالراحل هذا، وإن أعضاء الراحل قوية.»

والإشارة إلى أعضاء «أوزير» المنعمة هنا ترمز لأعضاء «أوزير» التي مزقها «ست» وطوَّح بها في مختلف جهات القطر، وهي التي جمعتها «إزيس» من كل هذه الجهات بعد أن أقامت لكلٍّ معبدًا في الجهات التي وجدت فيها.

ورغم أن رسم المُتوفَّى غير ظاهر في السفينة إلا أنه يمكننا أن نتصور أنه كان مسافرًا مع «أوزير» فيها؛ إذ يقول المتن: (٣١): ((Ibid, (31) إن فلانًا هذا يقف مع «أوزير» عندما يقف، وإن روحك[١٦] يأتي إليك فافتح حلقك مع «أوزير» صاحب الأشكال الأربعة، وعندئذ يأتي إليك الريح البارد، وعندما توضع في الأرض؛ (أي وقت الدفن)، وإنها (الرياح) ستسرع عندما تهب العاصفة عليها (أي السفينة).»

وكذلك نجد فوق السفينة مباشرة مكتوبًا (٣٥): «إنه لا يجهل «ست»، قف «يا أوزير» وانصب «نفسك».» ونقرأ كذلك أمام السفينة العبارة التالية (٣٦): «إن روح الليل هي أذناك، وإن العين السليمة قد أُعطيتها.»

أما عن المُتوفَّى فيقول المتن (٣٦–٣٨): «إن الراحل هذا يصعد إليك بعين «حور» (وعين حور هي القربان)؛ لأجل «أوزير»، وإن عينك قد طهرت، قم واحيَ! وإن فلانًا هذا قد ارتاح، وإن «تحوت» سيد الأشياء (القربان) هو الذي يطهر محراب الراحل هذا، وهو سيد طعام «أوزير»، وسيد قربان الراحل هذا ابن «أوزير»، ساكن الأرض العالية (أي الجبانة) التي يملكها الإله «أكبر» والإله «محنت» (؟).»

بعد ذلك ينتقل الراحل إلى منظر يمثل الواقعة التي حدثت بين إله الشمس «رع» في سفينة وبين الثعبان «أبو فيس» عدوه، وقد مُحي الجزء العلوي من هذا المنظر، ولكن لحسن الحظ ما بقي يمكِّننا من فهم الغرض الأساسي منه، والمتن في هذا المنظر يبتدئ بخطاب إلى الأبواب على لسان المُتوفَّى؛ ومما يؤسف له أن هذه المتون قد مُحيت من مصورنا غير أننا أخذناها من مصور التابوت رقم ٢٨٠٨٥ ((P. 218, (40)، وهي: مرحبًا بك أيتها الأبواب صاحبة الأسماء الأربعة السرية! أنت يا صاحبة الأماكن الرفيعة، ليتك تطلقين سراح الراحل هذا من كل سحر مؤذٍ للأحياء الذين أمامك إلى أن يصل فلان هذا أمام رب الكل، وإلى أن يقوم السلام بين المتحاربين «حور» و«ست»؛ وذلك إكرامًا للراحل هذا، وإن الراحل المواطن يبكي من أجله بسبب الجروح التي أصابت والده (أي

[١٦] يلحظ في هذه المتون الدينية والسحرية تغيير الضمير بصفة عامة.

«أوزير») عندما قُطعت أوصاله على يد «ست» (وهذا مثل من الأمثلة النادرة التي تشير إلى فرد من الطبقة المتوسطة يذكر فيه أن رجلًا من هذه الطبقة يحنو على «أوزير»، والمثل بعينه يدل على أن «أوزير» كان في الأصل إله الشعب).

ويذكر لنا بعد ذلك المتن أسماء المشتركين في هذه المعركة المدهشة وهم (٤١–٤٦) أولًا الثعبان «أبو فيس»، وقد ظهر الجزء الأسفل من صورته على المصور الذي في أيدينا، كما يلاحظ وجود إلهين يهاجمانه، ثم الآلهة «تسف» و«أمستي» و«حابي» و«دواموتف»، والأخير يهاجم «أبو فيس» بحربة طويلة، أما الإله «كبح سنوف» الذي يهاجم «أبو فيس» بالقوس والنشاب فإنه لم يُرسم هنا، والظاهر أنه كان ينعت (٤٧–٤٨) «الذي يرى والده، والذي عمل اسمه بنفسه.» اللهم إلا إذا كان هذان الاسمان لإلهين لم يُرسما هنا (Ibid, P. 47, 48) (وهذه الآلهة هي أولاد حور). ومما يجدر ذكره هنا أنه جاء في «كتاب الموتى» أن أولاد «حور» كانوا يقومون بمثل هذا الدور في «كتاب البوابات».

ونجد هنا كذلك متنًا وضع على لسان إله السحر «حقا» ((Ibid, P. 219, (50)؛ إذ يقول (٥٠): «إنك الأمير «أوزير» الذي ترى ما يسقط أمامك، وأنت الذي يُقتنص له رءوس البدو، والذي يُجر له الأشرار الأربعة.»

ولا نزاع في أن هذا المتن يشير إلى الشياطين الذين يهاجمون «أبو فيس» عدو إله الشمس «رع»، ويلي ذلك المنظر صورة كبيرة لسفينة الشمس ذات لون أصفر، وهي تشبه السفينة التقليدية التي تعمل الشمس فيها سياحتها اليومية، فنجد في وسطها المحراب الذي يجلس فيه وبابه مفتوح على مصراعيه، غير أننا لا نجد الإله جالسًا في محرابه؛ ولكن نجد متنًا صغيرًا على جانب المحراب يخبرنا أن الإله «رع» موجود في السفينة، وكذلك كتب اسم الإلهين (٥٧–٥٨) «سيا» و«حو» (أي «الفهم» و«الأمر»)، وهما الإلهان اللذان لا يفارقان «رع» في سياحته اليومية في سفينته ويقفان دائمًا بجانب الدفة. ومما يلفت النظر هنا أن سفينة الشمس هذه قد وضعت هنا على جرارة لها رأس صقر مما يذكرنا بالجرارات الخاصة بالقوارب الجنازية، وبخاصة نشاهد أن الجرارة لها رأس صقر، وذلك مما يذكرنا كذلك بالإله «سوكر» إله الموتى في جبانة «منف»، وهو يمثل في صورة إنسان برأس صقر في سفينة على شكل جرارة، ويُنعت بأنه إله منف العظيمة وسيد «روستاو»، ويشد هذه الجرارة ثلاثة رجال وقد كُتب بجوارهم المتن التالي (Ibid, 49) (٤٩): «أربع مجاميع من سكان السماء وأربع مجاميع من بحارة «رع» الذين لا حصر لهم.» وتفسير هذا المتن معروف لنا منذ عهد الأهرام؛ إذ نعلم أن

بحارة «رع» كانوا يتألفون من نجوم ثابتة ومن كواكب سيارة. ويمكن أن نستنبط هنا نفس هذه الحقيقة؛ فالبحارة الذين لا يحصى عددهم هم بلا شك النجوم. والواقع أن نفس الفكرة قد تمسك بها رجال الدين فيما بعد، كما نجد ذلك في كتاب «ما يوجد في العالم السفلي»، وفي «كتاب البوابات»؛ حيث نجد أن سفينة الشمس في سياحتها في العالم السفلي الذي لا هواء فيه تقوم برحلتها فيه حيث يجرها أولئك البحارة الذين يتألفون من النجوم، ولكن يلاحظ أن الجرارة لم توجد في الكتابين الأخيرين؛ إذ كانت السفينة تجر على الماء بالأمراس لانعدام الهواء؛ اللهم إلا في الجزء الذي كان يُسمى «روستاو»؛ وحيث كانت تغير صورتها وتُجر على رمال الصحراء. وعدد البحارة هنا كان يتألف من أربع مجاميع بدلًا من المجموعتين العاديتين؛ واحدة لسفينة النهار والأخرى لسفينة الليل، ومن المحتمل أنهم قُسموا أربع مجاميع ليتفق هذا مع أربع السموات السالفة الذكر؛ أي إنه كان لكل سماء مجموعة تعمل فيه.

وفي مصور التابوت رقم ٢٨٠٨٥ نجد الآلهة التالية أسماؤهم قد ذكروا مع هذا المنظر (Ibid, 51–55.) كما يأتي (٥١–٥٥): «الحاشية الذين في المقدمة (أي مقدمة السفينة)، و«إزيس» والإله «ست» والإله «حور» ثم الحاشية المؤلفة من الأربعة الذين في المؤخرة (أي مؤخرة السفينة).»

وأخيرًا ينتهي هذا الصف من المصور بمتن طويل يدل على آخر المطاف فاستمع لما جاء فيه ((Ibid, P. 220 (58) «الشاطئ الشمالي للنهر المتعرج الذي لا نهاية لعرضه، وهو يحيط به جميعه نار ارتفاعها ذراع، مرحبًا بك يا من قد كفيت شر لهيبها، ويا من أقصيت نارها عنك، وإن الراحل هذا قد ضرب على يد كل شر بسر ذكائه الذي عمله، وإنه قد أصبح حيًّا بأعضائه ويتحرك بها، وإن الراحل لا والد له.»

ثم يتلو ذلك عنوان بالمداد الأحمر جاء فيه متن مهشم، ويأتي بعده متن كُتب بالمداد الأسود هو (٥٩): «إن رب الجميع تكلم للصامت (أي «أوزير») عن الآلام في السياحة: يا رجال الحاشية الأصحاء بما أنتم فيه من سكينة، إني أكرر لكم أعمالي الجميلة جدًّا؛ لقد عملت ما سَر قلبي في داخل «محن» (السفينة)؛ لأني أخرست الشر وعملت الطيبات أربع مرات في داخل باب الأفق، وقد خلقت النَفَس الذي يستنشقه كل إنسان في حياته، وإني أنا الذي خلقت الفيضان العظيم، وجعلت الفقير قويًّا مثل العظيم، وهذا هو عملي هناك، وقد جعلت كل إنسان مثل أخيه، ولم آمر بعمل شر لهم؛ وبذلك أجعل قلوبهم راضية بما فعلت، هذا هو عملي هناك، ولقد جعلت أفئدتهم صالحة حتى يذكروا الغرب (الآخرة)؛

ولأجل أن يقدِّموا للآلهة الأربعة الخفية، هذا هو عملي هناك، ولقد خلقت الآلهة الأربعة من عرقي، والناس من دموع عيني.

وإن الراحل هذا هو الضوء الذي ينير كل يوم (أي الشمس) في مكان النوم عندما يذهب رب الجميع للنوم، وعيني الخاصة بالليل (القمر) لمتعب القلب (أي أوزير)، وإن الراحل هذا ضمن بحارة سفينة «ماعت» (العدالة)، وإن الراحل هذا هو رب الفيضان والسياحة السماوية التي لا يترك فيها عضو من أعضاء الراحل هذا، وإن الإله «حور» والإله «حقا» قد قضيا على هذا الشر جميعًا، الذي رآه الراحل هذا، وإن الراحل هذا قد جلس في مكانه، وإنه يفصل بين التعس والقوي بالعدل، ... وإن الراحل يمضي ملايين السنين التي يملكها «صاحب القلب المتعب» (كتاب عن الموت) (أوزير) وهو ابن «جب» (إله الأرض) ...

ولا مراء في أن القارئ لا يتردد لحظة في القول بأن هذا المقال الأخير هو أعظم قطعة خلقية قدَّمها لنا مؤلف كتاب الطريقين في ختام مطافه؛ إذ نجد أن رب العالم؛ (أي الخالق) يحدِّثنا عن جزء من قصة خلق العالم، فقد برأ الآلهة الأربعة من عرقه، وذرأ الناس من دموعه؛ وبذلك أوجد نَفَس الحياة للخلق، وذرأ الفيضان، وجعل الضعيف والقوي أمامه سواءً؛ فعدل بينهما، وجعل كل الناس إخوانًا، وعرف أن قلوب الناس قد جُبلت على الشر غير أنه تنحى عن المسئولية في ذلك؛ لأنه لم يخلقه كذلك، بل على النقيض جعل قلوب الناس سليمة؛ حتى يذكروا يومًا لا ريب فيه؛ ويتدبروا واجبهم نحو الإله خالقهم يوم يقدِّم كل إنسان ما عملت يداه ويكون الجزاء من جنس العمل.